من روائع حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

كتاب الموت

سكرات الموت وشدته

وحياة القبور حتى النفخ في الصور

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

دراسة وتحقيق وتعليق
عبد اللطيف عاشور

طبع على نفقة
إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

من روائع حجة الإسلام أبي حامد الغزالي

مؤسسة الرعاية التربوية
مكتبة
مدرسة الصفرة الإعدادية الثانوية بنين
تاريخ الورود
رقم التسلسل ٨٩٤
رقم التصنيف ٢١٣,٥ ٢

كتاب الموت

سكرات الموت وشدته

وحياة القبور حتى النفخ في الصور

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي

٢١٦
١٩

دراسة وتحقيق وتعليق
عبد اللطيف عاشور

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن

مقدمة المحقق

لقد حفل عصرنا بألوان شتى من الترف ، ومظاهر متعددة للإسراف والبذخ ، والمجون إلى غير ذلك من ألوان الانحراف والبعد عن الصراط المستقيم !!

وكان لابد من مناهضة تلك التيارات بالدعوة إلى التفكير فى الموت ، واستشراف عالمه ، والتطلع إليه ، لكفّ النفس عن إزجاء الأهواء إلى غايتها ، وصولا بها إلى مافيه وقايتها وسلامتها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وليس هناك ما يسعفنا فى هذا المقام إلاّ حجة الإسلام « الغزالى » فلقد تصدى فى نهاية كتابه « إحياء علوم الدين » لذكر الموت ، وما يلقاه الميت فى قبره بما يُرجِعُ النفسَ عن غَيّها ، ويُعيدها إلى صوابها بصورة لم يُتح لمؤلِّف أن يتفوق عليه فيها ، فقد تناول « كتابه عن الموت » الأبواب الآتية :

الباب الأول : فى ذكر الموت والترغيب فيه .
الباب الثانى : فى ذكر طول الأمل وقصره .
الباب الثالث : فى سكرات الموت وشدته ، وما يستحب من الأحوال عند الموت .

الباب الرابع : فى وفاة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده .
الباب الخامس : فى كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين .
الباب السادس : فى أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر ، وحكم زيارة القبور .
الباب السابع : فى حقيقة الموت ، وما يلقاه الميت فى قبره إلى نفخة الصور .
الباب الثامن : فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام ولا يتركنا الغزالى حتى يحدثنا عن الأهوال التى يصادفها الميت إلى نفخ الصور إيذانا بيوم الفصل ... يوم الفزع الأكبر .

ويدرك القارىء عند الانتهاء من قراءة هذا الكتاب أن الإمام الغزالى قد أجاد وأفاد بحق ، وأنه أمتع وأقنع ، وأن كتابه جاء فريدا فى بابه .. جامعا مانعا وكان علينا — باعتبار الموت أمرا يهم الجميع — أن نتيح للجميع قراءته والانتفاع به وتداوله فى سهولة ويسر .

إن الموت هو نهاية كل حى ، ولهذا ينبغى أن يكون موضع اهتمام الجميع بلا استثناء !!!

ألسنا جميعا فى انتظار ذلك الغائب القادم بين لحظة وأخرى ؟

أليست ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ ؟! [الأنبياء : ٣٥] ومهما تجاهلنا .. أو تناسينا .. أو هربنا .. فلابد من لقاء .. وعنده ينتهى الأجل !!!

﴿**قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم**﴾ .
[الجمعة : آية ٨]

ومسئوليتنا جميعا أن نعرف : إلى أين المصير ؟ وبأى وجه نلقى الله ؟ وكيف النجاة ؟ وأى لون من الحياة يحياها المتقون فى قبورهم أو العصاة ؟ ومن أجل هذا كله كان اختيارنا واهتمامنا بتقديم هذا الكتاب . نرجو الله أن يحسن ختامنا ويهيء لنا من أمرنا رشدا .

رحلة الموتى إلى القبور ..

على هامش الرحلة

عجيب أمرنا !!

● إذا رحل أحدنا من بلد إلى آخر بذل كل جهده فى الإعداد لتلك الرحلة حتى ولو كانت قصيرة !

● واذا نزل بإحدى المدن راح يبحث عن أكثر فنادقها توفيرا لإقامة سعيدة وحياة هنيئة .

● وإذا حدثت منه مخالفة يعاقب عليها القانون تراه يحاول بشتى الوسائل النجاة من العقوبة .. ويعمل كل جهده على أن لا يفتضح أمره ، أو يكشف ستره !

● وإذا أقيمت عليه دعوى أمام « قضاة الدنيا » أخذ يجمع مستنداته مختاراً أقدر المترافعين لينجو من العقوبة ..

أليس كذلك ؟ !!

لكننا ــ لا نعطى اهتماما لتلك : « الرحلة الكبرى » و « الاقامة الدائمة » و « القضية الكبرى » التى يحكم فيها أحكم الحاكمين ، فلا معقب لحكمه ، ولا استئناف .. فما تنفعهم شفاعة الشافعين إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا !!

وكأننا فى شك من الموت كما قال الحسن عليه السلام : « ما وجدت يقينا أشبه بالشك من الموت » والموقف « مضحك » وشر المصائب ما يضحك !!

يقول سلمان الفارسى :

ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى :

- مؤمِّل الدنيا والموت يطلبه !
- وغافِل وليس يُغفَل عنه !
- وضاحك ملء فيه ولا يدرى : أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ ؟ !

وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى !!

- فراق الأحبة : محمد وحزبه !
- وهول المطلع !
- والوقوف بين يدى الله ولا أدرى : أإلى الجنة يؤمَر بى أم إلى النار ؟ !

وأعود فأقول كما قال إمامنا الغزالى :

أين من ينفث روح القدس فى روعه فيقول له ما قال لسيد النبيين :

- أحبب من أحببت فإنك مفارقه
- وعش ما شئت فإنك ميت
- واعمل ما شئت فإنك مجزى به ؟!

لقد وجه الغزالى أنظارنا إلى الكثيرين ممن واجهوا الموت .. لقد كانوا يواجهونه بأقاويل يغلب على بعضها الخوف ، وعلى بعضها الرجاء .. وعلى بعضها الشوق والحب !!

ويحكى المزنى عندما دخل على الإمام الشافعى رحمه الله فى مرضه الذى توفى فيه فقال له :

ـــ **كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ !**

ـــ **قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ؟ !**

وللإخوان مفارقاً

ولسوء عملى ملاقياً

ولكأس المنية شارباً

ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ؟ !!

● ولقد بكى بعضهم عند الموت فقيل له :

ـــ ما يبكيك ؟ !

ـــ قال : آية فى كتاب الله : قوله عز وجلَّ :

﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ [سورة المائدة : ٢٧]

● وحكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه عند الموت وكان ينظر إليها ويقول :

﴿ **ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه** ﴾

[سورة الحاقة : ٢٨ ـــ ٢٩]

● ولقد فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال :

﴿ **لمثل هذا فليعمل العاملون** ﴾ [الصافات : ٦١]

● ولما حضر ابراهيم النخعى الوفاة بكى !

ـــ فقيل له : ما يبكيك ؟ !

ـــ قال : أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار .

إنها ساعة رهيبة ما خاف من عاقبتها أحد إلا ونجا ، وما لها عنها أحدٌ إلا تحسر وندم ! إنها الساعة الحاسمة التى يتمنى الكثيرون أن لايذوقوا كأسها ، ولا يشربوا مرارتها !! ولكن كيف .. وأنّى لهم و ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

﴿ **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم** ﴾ [الجمعة : آية ٨]

﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة** ﴾ [النساء : آية ٧٨] .

إنها ساعة خبئت فى لوح القدر ، واستترت فى ظل الأمل ، ولا يدرى فى غمراتها كيف تكون ، ولا فى أى مكان يدركه المنون ، وأى أرض تضم رفاته ضمة الأم الغاضبة ، أو ضمة الصدر الحنون !!

﴿ **أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُون** ﴾ [الشعراء : ٢٠٥ ــ ٢٠٧] .

﴿ **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** ﴾ [الزمر : ٤٧] .

ان من يتابع المسيرة مع الإمام الغزالى يتعرف على الكثير من خبايا الموت وخفايا القبر وأسرار النفس فى ذاك العالم . عالم الروح فى برزخها وهذه قطرات من بحر نختمها بما روى عن عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه ..

ــ قيل له : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ !

ــ قال : أجدنى كما قال الله تعالى :

﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرَّة وتركتم ما خوَّلْناكم**

وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاء !! ﴾ . ثم مات .
[الأنعام : ٩٤] .

● فهل أعددنا العدة لهذه الرحلة ؟ وهل تزودنا بما ينفعنا ؟ إن خير الزاد التقوى !! قيل لأعرابى : إنك تموت !

فقال : وإلى أين يذهبُ بى ؟
فقالوا : إلى الله !
قال : فما هى كراهيتى أن أذهب إلى من لا أرى الخير إلا منه ؟ !!

اللهم ألهمنا الثبات عند الممات ، وامنحنا القوة لنفعل ما وعظنا به حتى نكون ممن يوعظون فيفعلون ﴿ **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشدَّ تثبيتا** ﴾ [النساء : ٦٦] فتعال ننتفع بوعظ إمامنا أبى حامد الغزالى عسى الله أن يجعله خيراً لنا وأشد تثبيتاً .

عبد اللطيف عاشور

القاهرة فى : ٢٧ من شوال ١٤٠٦ هجرية .
٣ من يوليو ١٩٨٦ ميلادية .

المؤلف أبو حامد الغزالى فى سطور

- ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى فى قرية « غزالة » من أعمال « طوس » سنة ٤٥٠ هـ ...
- تنقل فى طلب العلم ما بين « طوس » إلى « جرجان » و « نيسابور » حيث لازم إمام الحرمين الجوينى ، وصار من أخص تلاميذه .
- لقى الوزير « نظام الملك » بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته ، وأنزله خير منزل ، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية « ببغداد » بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات فى عدة مجالس استوجبت إعجاب نظام الملك . وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرحال .
- ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سائحاً متصوفاً (عام ٤٨٨) ، وبدأ بالحج ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً ، وفى عُزلته ببلاد الشام ألف « كتاب الإحياء » ثم انتقل إلى بيت المقدس ، ثم قصد مصر ، وأقام بالإسكندرية مدة ، ويقول « ابن خلكان » إنه قصد الركوب منها فى البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمير « يوسف بن تاشفين » صاحب « مراكش » فبلغه نعيه ، وعندئذ صرف عزمه عن تلك الناحية ، وعاد إلى بغداد ثم خراسان .

- درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى ، ثم رجع إلى طوس ، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء ، وخانقاه للصوفية .
- قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥) فى مدينة الطابران قصبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً .

عصر الإمام الغزالى

١ ــ هو عصر السلاجقة الذين قاموا بمناصرة أهل السنة على الشيعة .
٢ ــ وهو العصر الذى نشط فيه الباطنية .
٣ ــ كما ازدحم العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن عجيباً ولا غريباً أن يتصدى « حجة الإسلام » الغزالى لهؤلاء وأولئك ... بالرد .. والتفنيد ... والمناهضة ويعلنها حرباً ... ويشن هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسيلته فيها المناظرة والمجادلة والتأليف ، والتصنيف .

مؤلفاته :

لو تصدينا لعد مؤلفاته وحصرها لوجدنا أنها تزيد على السبعين مؤلفاً ، منها ما رأى النور ، ومنها ما لا يزال مخطوطاً ... ومن مؤلفاته :

١ ــ تهافت الفلاسفة .
٢ ــ مقاصد الفلاسفة .
٣ ــ عقيدة أهل السنة .
٤ ــ فضائح الباطنية .
٥ ــ فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة .
٦ ــ تنزيه القرآن عن المطاعن .

٧ ــ التبر المسبوك فى نصيحة الملوك .
٨ ــ مكاشفة القلوب .
٩ ــ المنقذ من الضلال .
١٠ ــ ميزان العمل .
١١ ــ إلجام العوام عن علم الكلام .
١٢ ــ إحياء علوم الدين .
١٣ ــ الوسيط « فى علم الفقه » .
١٤ ــ البسيط « فى علم الفقه » .
١٥ ــ الوجيز « فى علم الفقه » .
١٦ ــ الخلاصة « فى علم الفقه » .

إلى غير ذلك من كتبه التى تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .

حجة الإسلام الغزالى مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أن نقسم عمل حجة الإسلام وإنتاجه وتجديده فى ناحيتين :

الأولى : نقده للفلسفة ومناقشته لها ، وتجديده لعلم الكلام الذى فقد جدَّته وحياته .

الثانية : « الحسبة » على المجتمع الإسلامى المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتحلى بالحقائق .

كتاب الاحيـــاء :

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » وقد صنف الغزالى هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد فى طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس .

ويدل كتاب الإحياء على مكانة حجة الإسلام الغزالى بين علماء الأخلاق ، فقد استحق ببحوثه العظيمة أن يوضع فى الصف الأول من علماء الأخلاق وعلم النفس والمؤرخين .

ومن أشد أجزاء الكتاب تأثيرا فى النفس — كما يقول أبو الحسن الندوى — فى كتابه عن الغزالى — ما يشتمل على الترغيب والترهيب ، فإن الغزالى يصور غرور الدنيا ، وخلود الآخرة ،

والحاجة إلى الإيمان والعمل الصالح ، وتهذيب النفس ، ويحذر من أمراض القلب ، ثم يرقق القول ويصف العلاج كأحسن ما يفعل طبيب حاذق ومربٍّ عطوف ، ويجيء بالعجب العجاب ، ويسحر الألباب ، ويدمع العيون ، ويرقق القلوب .

والحق أن كتاب الاحياء فى مقدمة الكتب الإسلامية التى انتفع بها خلائق لا تحصى فى كل عصر وجيل ... وإن علو همة الغزالى فى طلب الآخرة ، وتحقيق غاية الوجود لا يزال موضع استغراب وتقدير وإكبار من الجميع !!

فسلام الله على هذه الروح الزكية والهمة العالية ، والعقل الإسلامى الكبير وهنيئا لقرائنا بمعايشته ، والتتلمذ عليه .

منهج التحقيق

● أوليت هذا الكتاب عناية خاصة ليكون بين يدى العامة والخاصة ، فى جمعه التصويرى ، وإخراجه الفنى ليسهل الانتفاع به ، والاستفادة منه .

● قدمت له بما يتيح للقارىء الإلمام بما تضمنه والتعر ـ على مؤلفه حتى يقبل عليه إقبال المشوق .

● أعطيت للتبويب والعنونة اهتماما خاصا يأخذ بيد القارىء ، ويتيح له استفادة أكثر .

● أبرزت الآيات والأحاديث لتكون فى الوضع المناسب الذى يلفت القارىء ويشد انتباهه حتى يتاح له تدبرها ، وفهم معانيها ، ومعرفة مراميها ..

● وقفت مع الكلمات والعبارات التى تحتاج إلى بيان معانيها ومقصودها ليظل أسلوب الوعظ متسما بالسهولة والبساطة ، فقربت المعنى ، وفسرت الغامض . وحرصت على النص فى أمانة وصدق .

● أخذت بيد القارىء إلى معايشة إحدى القمم الإسلامية وكفى .

وهاهو ذا ماقدمناه باسم الله .

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى قصم[1] بالموت رقاب الجبابرة ، وكسر به ظهور الأكاسرة[2] ، وقصر به آمال القياصرة[3] ، الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة ، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم فى الحافرة ، فنقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود[4] إلى ظلمة اللحود ، ومن ملاعبة الجوارى والغلمان إلى مقاساة الهوام[5] والديدان ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ فى التراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضجع الوثير[6] إلى المصرع الوبيل ، فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ، واتخذوا من دونه حجابا وحرزا ، وانظر هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ؟[7] فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء ، واستأثر باستحقاق البقاء ، وأذل أصناف

---

(١) قصم : قرّب موتهم وأهانهم وأذلهم.

(٢) الأكاسرة : حكام الفرس.

(٣) القياصرة : حكام الروم.

(٤) المهود : جمع مهد وهو الفراش وما يمهد للإنسان لينام عليه ويجلس وينشأ ، واللحود جمع لحد .. وهو القبر.

(٥) الهوام : الحشرات وغيرها من الزواحف .

(٦) الوثير : اللين .

(٧) ركزاً : الصوت الخفى .

الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للأتقياء ، وموعدا فى حقهم للّقاء ، وجعل القبر سجنا للأشقياء ، وحبسا ضيقا عليهم إلى يوم الفصل والقضاء ، فله الإنعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة ، وله الشكر فى السموات والأرض ، وله الحمد فى الأولى والآخرة ، والصلاة على محمد ذى المعجزات الظاهرة ، والآيات الباهرة ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا .

أما بعد : فجدير بمن الموت مصرعه ، والتراب مضجعه ، والدود أنيسه ، ومُنكَرٌ ونكيرٌ جليسه ، والقبر مقره ، وبطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أو النار مورده ، أن لا يكون له فكر إلا فى المويت ، ولا ذكر إلاّ له ، ولا استعداد إلا لأجله ، ولا تدبير إلا فيه ، ولا تطلع إلا إليه ، ولا تعريج[٨] إلا عليه ، ولا اهتمام إلا به ، ولا حول إلا حوله ، ولا انتظار وتربص إلاّ له وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها فى أصحاب القبور ؟

إن كل ما هو آت قريب ، والبعيد ماليس بآت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم[٩] « **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ** » ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب ، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له ، والنظر فى المنبهات عليه .

ونحن نذكر من أمر الموت ، ومقدماته ولواحقه ، وأحوال الآخرة ، والقيامة ، والجنة ، والنار ، ما لابدّ للعبد من تذكاره على

(٨) تعريج : وقف ولبث .

(٩) حديث الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة . والكياسة : تمكين النفس من انتباط ما هو نفع .

التكرار ، وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل ، فما بقي من العمر إلا القليل ، والخلق عنه غافلون ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**(١٠) ﴾ ونحن نذكر ما يتعلق بالموت حتى النفخ فى الصور ليوم الفزع الأكبر فى أبواب ثمانية .

(١٠) الأنبياء : ١

الباب الأول
في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره
• ذكر الموت وموقف الناس منه .
• فضل ذكر الموت كيفما كان .
• بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب .

ذكر الموت وموقف الناس منه !!

اعلم أن المنهمك فى الدنيا المكبَّ على غرورها ، المحب لشهواتها يغفُل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذكّر به كرهه ونفر منه ، أولئك هم الذين قال الله فيهم ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ والشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**(١١) ﴾

ثم الناس إما منهمك وإما تائب مبتدىء ، أو عارف منته :

أما المنهَمك : فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ، ويشتغل بمذمّته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا .

وأما التائب : فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث من قلبه الخوف والخشية ، فيفى بتمام التوبة ، وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل إصلاح الزاد ، وهو معذور فى كراهة الموت ، ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم(١٢) « **مَنْ كَرِهْ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ** » فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله ، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره ، وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه . فلا يُعَدُّ كارها للقائه .

---

(١١) حديث من كره لقاء الله كره الله لقاءه : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(١٢) الجمعة : ٨

وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لاشغل له سواه ، وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا .

وأما العارف : فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعد للقائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب ، وهذا فى غالب الأمر يستبطىء مجىء الموت ، ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل إلى جوار رب العالمين ، كما روي عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة[١٣] ، لا أفلح من ندم . اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى ، والسقم أحب إليّ من الصحة ، والموت أحب إليّ من العيش ، فسهل عليّ الموت حتى ألقاك . فإذاً التائب معذور فى كراهةِ الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه.وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى ، فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه ، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا ، وهو الغاية والمنتهى .

وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل ، فإن المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا ، إذ ينغص عليه نعيمه ، ويكدر عليه صفو لذاته ، وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

(١٣) الفاقة : الفقر وشدة الاحتياج .

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٤] « **أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ** » معناه نغصّوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها . فتقبلوا على الله تعالى ، وقال صلى الله عليه وسلم[١٥] « **لَوْ تَعْلَمُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْمَوْتِ مَا يَعْلَمُ ابْنُ آدَمَ مَا أَكَلْتُم مِنْها سَمِيناً** »[١٦] **وقالت عائشة رضي الله عنها : يارسول الله : هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال :** « **نَعَم مَنْ يَذْكُرُ الْمَوْتَ فِي الْيَوْمِ واللَّيْلَةِ عِشْرِينَ مَرَّةً** » وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ، ويتقاضى الاستعداد للآخرة . والغفلةُ عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا .

وقال صلى الله عليه وسلم[١٧] « **تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ** » وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن ، إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة

(١٤) حديث أكثروا من ذكر هاذم اللذات : الترمذي وقال:حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهاذم اللذات : قاطع . وهي بالذال ، أما هازم بالزاي فهو غالب وكاسر .

(١٥) حديث لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا : البيهقي في الشعب من حديث أم حبيبة الجهنية.

(١٦) حديث قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة :

(١٧) حديث تحفة المؤمن الموت : ابن أبي الدنيا في كتاب الموت : والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسلا بسند حسن . والتحفة الهدية . وكل عطية تضمنت برا ولطفا فهي تحفة.

نفسه ، ورياضة شهواته ، ومدافعة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب ، والإطلاق تحفة فى حقه .

وقال صلى الله عليه وسلم[١٨] « **الْمَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** » وأراد بهذا المسلم حَقا ، المؤمن صدقا ، الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ، ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ، ولم يتدنس من المعاصى إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض . قال[١٩] عطاء الخراسانى : مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال « **شُوبُوا مَجْلِسَكُمْ بِذِكْرِ مُكَدِّرِ اللَّذَّاتِ** » قالوا وما مكدر اللذات ؟ قال « **الْمَوْتُ** » .

وقال[٢٠] أنس رضى الله تعالى عنه : قال رسول ﷺ « **أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ يُمَحِّصُ الذُّنُوبَ وَيُزَهِّدُ فِى الدُّنْيا** » . وقال ﷺ[٢١] « **كَفَى بِالْمَوْتِ مُفَرِّقاً** » . **وقال عليه السلام**[٢٢] « **كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظاً** » .

---

(١٨) حديث الموت كفارة لكل مسلم : أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب والخطيب فى التاريخ من حديث أنس قال ابن العربى فى سراج المريدين أنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزى وقد جمعت طرقه فى جزء . واللمم : صغار الذنوب .

(١٩) حديث عطاء الخراسانى مر النبى صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات ــ الحديث : ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا مرسلاً من حديث أنس ولا يصح . وشوبوا : اخلطوا .

(٢٠) حديث أنس أكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا : ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف جدا ، ويمحص : يذهب ويطهر ويزيل .

(٢١) حديث كفى بالموت مفرقا : الحارث بن أبى أسامة فى مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى البر والصلة من رواية أبى عبد الرحمن الحبلى مرسلا .

(٢٢) حديث كفى بالموت واعظا : الطبرانى . والبيهقى فى الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد .

وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد ، فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال[٢٣] «**اذْكُرُوا الْمَوْتَ أَمَا والَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**» . وذُكِر عند رسول الله ﷺ رجل ، فأحسنوا الثناء عليه ، فقال «**كَيْفَ ذِكْرُ صَاحِبِكُمْ لِلْمَوْتِ ؟**» قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت . قال «**فإنَّ صَاحِبَكُمْ لَيْسَ هُنَالِكَ**»[٢٤] . وقال ابن [٢٥]عمر رضى الله عنهما : أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة ، فقال رجل من الأنصار : من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله ؟ فقال «**أَكْثَرُهُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ وَأَشَدُّهُمُ اسْتِعْدَاداً لَهُ أُولئِكَ هُمُ الْأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ**» .

الآثار فى فضيلة ذكر الموت

وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لبّ فرحا .

وقال الربيع بن خثيم : ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت . وكان يقول : لا تشعروا بى أحدا ، وسُلّونى إلى ربى سَلًّا[٢٦] . وكتب

(٢٣) حديث خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت — الحديث : ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٢٤) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت — الحديث : ابن أبى الدنيا فى الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك فى الزهد قال أنامالك بن مغول فذكره بلاغا بزيادة فيه .

(٢٥) حديث ابن عمر أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس الحديث : ابن ماجه مختصرا وابن أبى الدنيا بكمالله باسناد جيد .

(٢٦) انتزعونى من دنياى وأخرجونى برفق منها إلى ربى . ومثله قوله حسان للنبى ﷺ عندما أراد أن يهجو قريشاً فقال له : كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ فقال : سوف أسُلُّك منهم كما تسل الشعرة من العجين .

بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده .

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه .

وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة .

وقال ابراهيم التيمى شيئان قطعا عنى لذة الدنيا ، ذكر الموت ، والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها .

وقال مطرف . رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول فى وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين ، فو الله ما تراهم إلا والهين(٢٧) .

وقال أشعث : كنا ندخل على الحسن ، فإنما هو النار ، وأمر الآخرة ، وذكر الموت .

وقالت صفية رضي الله تعالى عنها : إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها ، فقالت أكثرى ذكر الموت يرقّ قلبك . ففعلت فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله ، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه ، وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا .

---

(٢٧) الواله : الحزين حزناً شديداً يكاد يذهب عقله فهو فى حيرة .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى ، فقال : لستَ أول خليفة تموت . قال : زدنى قال : ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت ، وقد جاءت نوبتك . فبكى عمر لذلك : وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا فى داره ، فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت . وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : إن هذا الموت قد نغّص على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيما لا موت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة : أكثر ذكر الموت ، فإن كنت واسع العيش ضيّقه عليك ، وإن كنت ضيق العيش وسّعه عليك .

وقال أبو سليمان الدارانى : قلت لأم هارون أتحبين الموت ؟ قالت : لا . قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه ، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته !

بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب

اعلم أن الموت هائل ، وخطره عظيم ، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فليُرجّع ذكر الموت فى قلبه . فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه ، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة[٢٨] مخطرة أو يركب البحر ، فإنه لا يتفكر إلا فيه . فإذا باشر ذكر الموت قلبه ، فيوشك أن يؤثر فيه : وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا . وينكسر قلبه .

وأنجع[٢٩] طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه[٣٠] الذين مضوا قبله . فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم ، وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم ، وكيف أرملوا نساءهم ، وأيتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجل رجلا ، وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته ، وتوهم صورته . وتذكر نشاطه وتردّده وتأمله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخداعه بمواتاة الأسباب[٣١]

---

(٢٨) المفازة الصحراء المهلكة وسميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة منها .

(٢٩) أنجع : أجدى وأحسن .

(٣٠) الأقران : جمع قِرن وهو النظير والمثيل والشبيه .

(٣١) مطاوعتها له ، وإقبالها عليه .

وركونه إلى القوّة والشباب ، وميله إلى الضحك واللهو ، وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع[٣٢] ، والهلاك السريع ، وأنه كيف كان يتردّد والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه مالا يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر ، وهو غافل عما يراد به ، حتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة الملك ، وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار . فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم ، وغفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا ذكرتَ الموتى فعدّ نفسك كأحدهم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : السعيد من وُعظ بغيره .

وقال عمر بن عبد العزيز : ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحاً[٣٣] إلى الله عز وجل تضعونه فى صدع[٣٤] من الأرض ، قد توسد[٣٥] التراب ، وخلّف الأحباب[٣٦] . وقطع الأسباب ؟

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى ، هو الذى يجددّ ذكر الموت فى القلب ، حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه ، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ، ويتجافى[٣٧] عن دار

---

(٣٢) الموت الذريع : السريع والفاشى

(٣٣) الغادى : من يذهب فى أول النهار . والرائح : العائد آخر النهار وفى القرآن : (غدوها شهر ورواحها شهر) [سبأ : ١٢] .

(٣٤) صدع : شق

(٣٥) توسد التراب : وضع رأسه عليه كالوسادة (المخدة) .

(٣٦) خلّفهم : تركهم

(٣٧) يتجافى : يبعد

الغرور . وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة[٣٨] اللسان قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد له من مفارقته . نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها . ثم بكى فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسروراً . ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته .

(٣٨) طرفه .

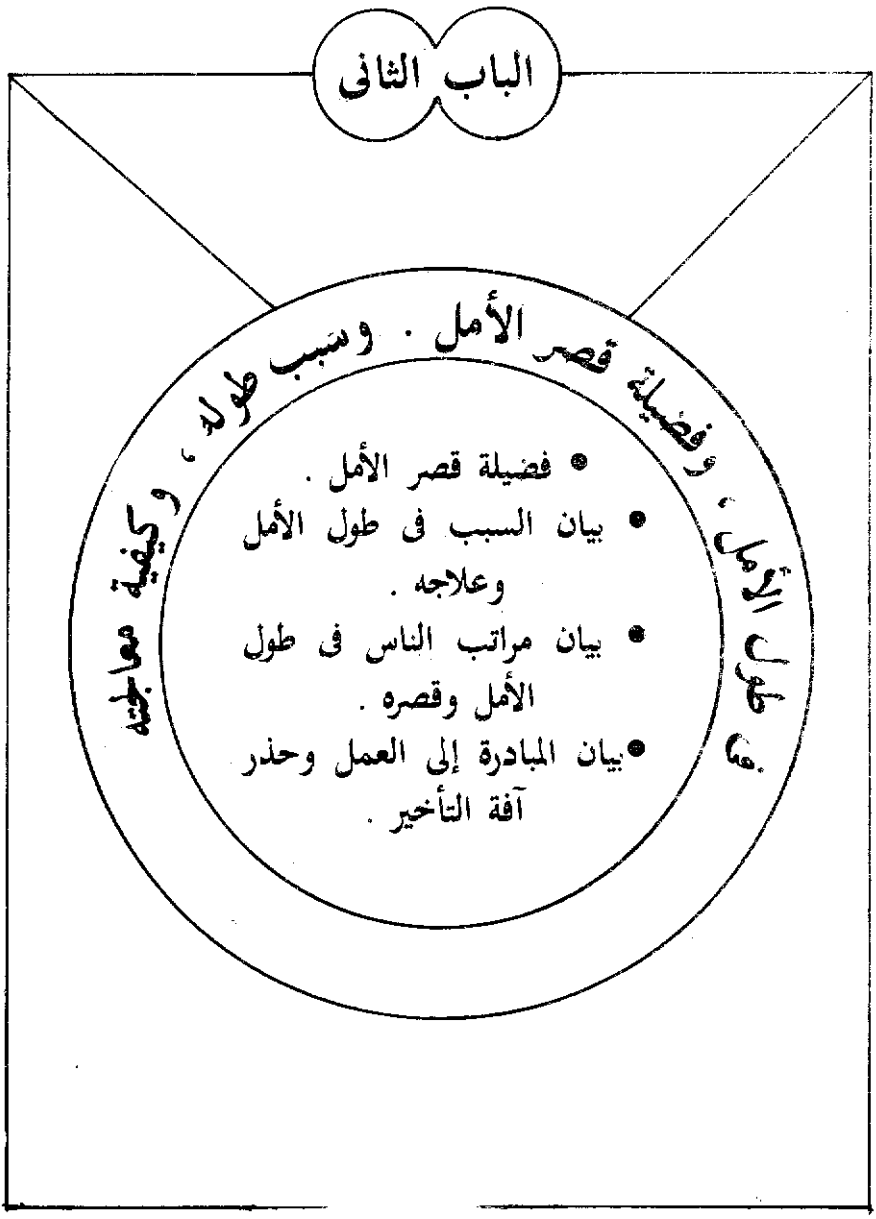
الباب الثانى
فضيلة قصر الأمل . وسبب طوله ، وكيفية معالجته
• فضيلة قصر الأمل .
• بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه .
• بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره .
• بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير .

فضيلة قصر الأمل

قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر(٣٩) « **إذا أَصْبَحْتَ فَلاَ تُحدِّثْ نَفْسَكَ بالْمساء وَإِذاَ أَمْسيْتَ فَلاَ تُحدِّثْ نَفْسكَ بِالصَّباح وَخُذْ مِنْ حياتك لِمَوْتِك وَمِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ فإنَّكَ يَاعَبْدَ الله لاَ تَدْرِى مَا ٱسْمُكَ غَداً** » .

وروى (٤٠)عليّ كرم الله وجهه ، أنه ﷺ قال « **إنَّ أَشدَّ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ خصْلَتانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ الْحُبُّ لِلدُّنْيَا** » ثم قال « **أَلاَ إِنَّ الله تَعَالى يُعْطِى الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَيبْغُضُ وَإِذَا أَحَبَّ عَبْداً أَعْطَاهُ الإِيمَانَ أَلا إن لِلدِّين أَبْنَاء وَلِلدُّنْيَا أَبْنَاءٌ فَكُونُوا مِنْ أَبْناء الدِّين وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاء الدُّنْيَا أَلاَ إِنَّ الدُّنْيا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُوَلِّيَةً أَلاَ إِنَّ الْآخِرَةَ قَدِ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً أَلاَ وَإِنَّكُمْ فِى يَوْمِ عَمَلٍ لَيْس فِيهِ حِسابٌ أَلاَ وَإِنَّكُمْ تُوشِكُونَ فِى يَوْمِ حِسَابٍ لَيْسَ فيه عَمَلٌ** » .

---

(٣٩) الحديث : ابن حِبّان ، ورواه البخارى من قول ابن عمر حديث كن فى الدنيا كأنك غريب .

(٤٠) حديث على إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان : إتباع الهوى وطول الأمل — الحديث — بطوله ابن أبى الدنيا فى كتاب قصر الأمل ورواه أيضاً من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف .

وقالت [٤١] أم المنذر : اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال : « **أَيُّهَا النَّاسُ أَمَا تَسْتَحْيُونَ مِنَ اللهِ** » قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : « **تَجْمَعُونَ مَالاَ تَأْكُلُونَ وَتَأْمَلُونَ مَالاَ تُدْرِكُونَ وَتَبْنُونَ مَالاَ تَسْكُنُونَ** » .

وقال [٤٢] أبو سعيد الخدري : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول « **أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ أُسَامَةَ الْمُشْتَرى إِلَى شَهْرٍ إِنَّ أُسَامَةَ لَطَوِيلُ الْأَمَلِ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَاطَرَفَتْ عَيْنَايَ إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ شَفْرَىَّ لَا يَلْتَقِيَانِ حَتَّى يَقْبِضَ اللهُ رُوحِى وَلَا رَفَعْتُ طَرْفِى فَظَنَنْتُ أَنِّى وَاضِعُهُ حَتَّى أُقْبَضَ وَلَا لَقَمْتُ لُقْمَةً إِلاَّ ظَنَنْتُ أَنِّى لَا أُسِيغُهَا حَتَّى أُغَصَّ بِهَا مِنَ الْمَوْتِ** » ثم قال : « **يَابَنِى آدَمَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ فَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَوْتَى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** » .

وعن [٤٣] بن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يخرج يريد الماء فيمسح بالتراب ، فأقول له يا رسول الله إن الماء منك

---

(٤١) حديث أم المنذر أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون الحديث : ابن أبى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب باسناد ضعيف.

(٤٢) حديث أبى سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تعجبون من أسامة ـــ الحديث : ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب بسند ضعيف.

(٤٣) حديث ابن عباس كان يريد الماء فيمسح بالتراب فأقول الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والبزار بسند ضعيف .

قريب . فيقول « **مَايُدْرِينِى لَعلّى لاَأَبْلُغُهُ** » وروى[٤٤] « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد ، فغرز عودا بين يديه والآخر إلى جنبه ، وأما الثالث فأبعده . فقال « **هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا** ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال « **هَذَا الإِنْسَانُ وَهَذَا الأَجَلُ وَذَاكَ الأَمَلُ يَتَعَاطَاهُ ابْنُ آدَمَ وَيَخْتَلِجُهُ الأَجَلُ دُونَ الأَمَلِ** » وقال عليه السلام[٤٥] **مَثَلُ ابْنِ آدَمَ وَإِلَى جَنْبِهِ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ مَنِيَّةً إِنْ أَخْطَأَتْهُ الْمَنَايَا وَقَعَ فِى الْهَرَمِ** » قال ابن مسعود : هذا المرء وهذه الخطوف حوله شوارع إليه ، والهرم وراء الخطوف ، والأمل وراء الهرم ، فهو يؤمل وهذه الخطوف شوارع إليه فأيها أمرّ به أخذه ، فإن أخطأته الخطوف قتله الهرم ، وهو ينتظر الأمل .

قال عبد الله : [٤٦]خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعاً ، وخط وسطه خطا ، وخط خطوطا إلى جنب الخط ، وخط خطا خارجا وقال « **أَتَدْرُونَ مَاهَذَا؟** قلنا : الله ورسوله أعلم . **قال « هَذَا الإِنْسَانُ** » للخط الذى فى الوسط « **وَهَذَا الأَجَلُ مُحِيطٌ بِهِ وَهَذِهِ الأَعْرَاضُ** » للخطوط التى حوله تنهشُه ، إن أخطأه هذا نهشه هذا .

---

(٤٤) حديث انه أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه ــ الحديث : أحمد وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له والرامهرمزى فى الأمثال من رواية أبى المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى واسناده حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد وابن أبى الدنيا أيضا من رواية أبى المتوكل مرسلا . ويختلجه : ينتزعه .

(٤٥) حديث مثل ابن آدم والى جنبه تسع وتسعون منية ــ الحديث ــ الترمذى من حديث عبد الله بن الشخير وقال حسن . والمنية : الموت ، والخطوف جمع خطف وهو ما فيه هلاكه ومعنى شوارع إليه أى مسدودة ومصوبة ، والهرم : الشيخوخة وكبر السن .

(٤٦) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا وخط وسطه خطا ــ الحديث : رواه البخارى .

« **وَذَاكَ الأَمَلُ** » يعنى الخط الخارج . وقال[٤٧] أنس : قال رسول الله ﷺ « **يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مَعَهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ وَالأَمَلُ** » وفى رواية « **وتَشِبُّ مَعَهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمْرِ** » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٨] « **نجا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزُّهْدِ وَيَهْلَكُ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ** » .

وقيل بينما عيسى عليه السلام جالس ، وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض ، فقال عيسى : اللهم انزع منه الأمل . فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة . فقال عيسى : اللهم اردد إليه الأمل . فقام فجعل يعمل . فسأله عيسى عن ذلك فقال : بينما أنا أعمل إذ قالت لى نفسى : إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير ؟ فألقيت المسحاة واضطجعت . ثم قالتْ لى نفسى والله لابد لك من عيش ما بقيت . فقمت إلى مسحاتى[٤٩] .

وقال[٥٠] الحسن : قال رسول الله ﷺ « **أَكُلُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ**» قالوا : نعم يا رسول الله ، قال «**قَصِّرُوا مِنَ الأَمَلِ وَثَبِّتُوا آجَالَكُمْ بَيْنَ أَبْصَارِكُمْ وَاسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ** »[٥١] وكان ﷺ

---

(٤٧) حديث أنس يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والأمل ، وفى رواية ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر ورواه مسلم بلفظ الثانى وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل باللفظ الأول باسناد صحيح .

(٤٨) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد وهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل : ابن أبى الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٤٩) المسحاة : كالفأس ونحوها .

(٥٠) حديث الحسن أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يارسول الله قال قصروا من الأمل ـــ الحديث : ابن أبى الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسلا .

(٥١) حديث كان رسول الله ﷺ يقول فى دعائه اللهم أنى أعوذ بك من أمل يمنع خير

يقول فى دعائه « **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تَمْنَعُ خَيْرَ الْآخِرَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ حَيَاةٍ تَمْنَعُ خَيْرَ الْمَمَاتِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ الْعَمَلِ** » .

الآثار(٥٢) : قال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى مَنّ على عباده بالغفلة عن الموت . ولولا الغفلة ما تهنؤوا بعيش ، ولا قامت بينهم الأسواق . وقال الحسن : السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بنى آدم ولولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق . وقال الثوري : بلغنى أن الإنسان خلق أحمق ، ولولا ذلك لم يهنأه العيش . وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن : إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها . وقال سلمان الفارسى رضي الله عنه : ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى : مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس يُغْفَل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض . وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الأحبة محمدٍ وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار . وقال بعضهم : رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام ، فقلت : أي الأعمال أبلغ عندكم ، قال التوكل وقصر الأمل . وقال الثورى : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة ، وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب . ثم دعا ربه فرد عليه الأمل : فرجع إلى

=الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل : ابن أبى الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى اسناده ضعف وجهالة ولا أدرى من حوشب .

(٥٢) الآثار : الأحاديث المنقولة عن أصحابها .

الطعام والشراب . وقيل للحسن : يا أبا سعيد ، ألا تغسل قميصك ؟ فقال الأمر أعجل من ذلك . وقال الحسن : الموت معقود بنواصيكم[٥٣] والدنيا تُطْوى من ورائكم وقال بعضهم : أنا كرجل مادٌّ عنقه والسيفُ عليه : ينتظر متى تُضْرَب عنقه . وقال داود الطائى : لو أملت أن أعيش شهرا لرأيتنى قد أتيت عظيما . وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار ؟ ! .

وحكي أنه جاء شقيق البلخى إلى استاذ له يقال له أبو هاشم الرمانى : وفى طرف كسائه شيء مصرور ، فقال له أستاذه : إيش هذا معك ؟[٥٤] فقال لوزاتٌ دفعها إلىّ أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها . فقال شقيق ، وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل ! لا كلمتك أبدا . قال : فأغلق فى وجهى الباب ودخل .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن لكل سفر زادا لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى[٥٥] وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإنه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه . ولا يمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا . وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً . وإنما تَقَرُّ عَيْنُ من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى ، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة . فأما من لايداوى كَلْما[٥٦] إلا اصابه جرح من

(٥٣) النواصى جمع ناصية وهى مقدم الرأس والجبهة والمقصود أنه ملازمكم أنى أتجهتم وحيثما كنتم .

(٥٤) إيشْ : اختصار لقولهم : أى شيء معك ؟

(٥٥) وخير الزاد التقوى.

(٥٦) الكَلْم : الجرح .

ناحية أخرى فكيف يفرح ، أعوذ بالله من أن آمركم بمالا أنهى عنه نفسى ، فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى ، وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر ، الموازين فيه منصوبة . لقد عنيتم[٥٧] بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ، ولو عنيت به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لتشققت . أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة : وأنكم صائرون إلى إحداهما .

وكتب رجل إلى أخ له : أما بعد : فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن فى أضغاث أحلام ، والسلام .

وكتب آخر إلى أخ له : إن الحزن على الدنيا طويل ، والموت من الإنسان قريب ، وللنقص فى كل يوم منه نصيب ، وللبلاء فى جسمه دبيب ، فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام . وقال الحسن . كان آدم عليه السلام قبل أن يخطىء أمله خلف ظهره ، وأجله بين عينيه . فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه ، وأجله خلف ظهره .

وقال عبد الله بن سميط : سمعت أبى يقول : أيها المغتر بطول صحته ، أما رأيت ميتا قط من غير سقم ؟ أيها المغتر بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذا قطُّ من غير عُدَّة ؟ إنك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك . أبالصّحة تغترون ؟ أم بطول العافية ترحون ؟ أم الموتَ تأمنون ؟ أم على مَلَك الموت تجترئون ؟ إن مَلَكَ الموتِ إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ، ولا كثرة احتشادك[٥٨] . أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب ، وغصص[٥٩] ، وندامة على التفريط ، ثم يقال

---

(٥٧) كُلِّفْتُم.

(٥٨) ما جمعته حولك من مال وأبناء.

(٥٩) جمع غصة وهى ما يعترض حلق الإنسان من عظمة وغيرها فيشرق كما يشرق بالماء شاربه والمراد ما يشعر به الإنسان من مرارة وحزن .

رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت ، رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت . وقال أبو زكريا التيمي . بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام ، إذا أتى بحجر منقور[٦٠] ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ، فإذا فيه : ابن آدم ، إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت فى طول أملك . ولرغبت فى الزيادة من عملك ، ولقصرت من حرصك وحِيَلك . وإنما يلقاك غدا ندمك لو قد زلّت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك[٦١] ، وفارقك الوالد والقريب ، ورفضك الولد والنسيب ، فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا فى حسناتك زائد ، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديداً .

وقال بعضهم : رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن ابن يوسف : سلام عليك ، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنى أحذرك مُتَحوَّلَك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك ، فتصير فى قرار الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكر ونكير فيُقعدانك وينتهرانك[٦٢] ، فإن يكن الله معك فلا بأس ، ولا وحشة ، ولا فاقة ، وإن يكن غير ذلك فأعاذنى الله وإياك من سوء مصرع ، وضيق مضجع ، ثم تبلغك صيحة الحشر ، ونفخ الصور . وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق ، وخلاء الأرض من أهلها ، والسموات من سكانها ، فباحت الأسرار ، وأسعرت النار ، ووضعت الموازين ، وجيء بالنبيين والشهداء ، وقضي بينهم بالحق ، وقيل الحمد لله رب

---

(٦٠) منقور : مكتوب عليه .

(٦١) الحشم : حشم الرجل خدمه .

(٦٢) نهره : زجره .

العالمين . فكم من مفتضح ومستور ، وكم من هالك وناج ، وكم من معذب ومرحوم ، فياليت شعرى[٦٣] ما حالى وحالك يومئذ ؟ ففى هذا ما هدم اللذات ، وأسلى عن الشهوات ، وقصر عن الأمل ،وأيقظ النائمين ، وحذر الغافلين . أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم ، وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين ، فإنما نحن به وله والسلام. .

خطبة عمر بن عبد العزيز فى الحث على التذكر

وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى . وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقى غدا عبدٌ أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شيء ، وجنته التى عرضها السموٰات والأرض . وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وشقوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى أسلاب[٦٤] الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون ؟ ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عز وجل قد قضى نحبه ، وانقطع أمله ، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ؟ وأيم الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى . ولكنها سنن من الله عادلة ، آمر فيها بطاعته ، وأنهى فيها عن معصيته ، واستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه وجعل يبكى حتى

---

(٦٣) ليتنى أعرف الحقيقة .

(٦٤) الأسلاب جمع سَلَب : وهو المال الذى يحصل عليه المجاهد من عدوه المقتول .

بلت دموعه لحيته . وما عاد إلى مجلسه حتى مات . وقال القعقاع بن حكيم : قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة ، فلو أتانى ما أحببت تأخير شيء عن شيء .

وقال الثورى : رأيت شيخاً فى مسجد الكوفة يقول : أنا فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بى ، وَلو أتانى ما أمرته بشيء ، ولا نهيته عن شيء ، ولا لى على أحد شيء ، ولا لأحد عندى شيء .

وقال عبد الله بن ثعلبة : تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار !(٦٥) .

وقال أبو محمد بن علي الزاهد : خرجنا فى جنازة بالكوفة ، وخرج فيها داود الطائى . فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن ، فجئت فقعدت قريبا منه ، فتكلم فقال : من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله . وكل ما هو آت قريب .

كل ما يشغل العبد عن الرب فهو مشئوم

واعلم يا أخى أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤم ، واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور ، إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون . فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون ، وفيه يتنافسون ، وعليه عند القضاء يختصون .

وروي أن معروفا الكرخى رحمه الله تعالى أقام الصلاة . قال محمد ابن أبى توبة : فقال لى تقدم : فقلت : إنى إن صليت بكم هذه الصلاة

(٦٥) القصار : الذى يحور الثياب ويبيضها .

لم أصل بكم غيرها . فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى ! نعوذ بالله من طول الأمل ، فإنه يمنع من خير العمل .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن الدنيا ليست بدار قراركم . دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها الظعن عنها . فكم من عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلّص فذهب ، بينا ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه.إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر . إنها تسر قليلا وتحزن طويلا . وعن أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، أنه كان يقول فى خطبته أين الوضاءة الحسنة وجوههم ؟ المعجبون بشبابهم ؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، فأصبحوا فى ظلمات القبور . الوحا الوحا[٦٦] ثم النجا النجا

(٦٦) الشَّرعة .. السرعة .

بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل ، والآخر حب الدنيا .

أما حب الدنيا : فهو أنه إذا أنس بها ، وبشهواتها ، ولذاتها ، وعلائقها . ثقل على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه من الفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها ، وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه ، والإنسان مشغوف بالأمانى الباطلة ، فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده ، وإنما يوافق مراده البقاء فى الدنيا ، فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ، ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال ، وأهل ، ودار ، وأصدقاء ، ودواب ، وسائر أسباب الدنيا ، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر ، موقوفا عليه . فيلهو عن ذكر الموت ، فلا يقدر قربه . فإن خطر له فى بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف[٦٧] ووعد نفسه وقال:الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب . وإذا كبر فيقول : إلى أن تصير شيخاً . فإذا صار شيخاً قال : إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار ، وعمارة هذه الضيعة[٦٨] ، أو ترجع من هذه السَّفْرة ، أو تفرغ من تدبير هذا الولد ، وجهازه ، وتدبير مسكن له ، أو تفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت بك . فلا يزال يسوّف

(٦٧) أجّل ، وقال سأعمل . أو سوف أعمل فيما بعد ، ويقول النحويون : السين وسوف للتسويف أى التأجيل غير أن السين للمستقبل القريب وسوف للبعيد ، ولكن الأجل بيد الله .

(٦٨) الضيعة : (العزبة) .

ويؤخّر ، ولا يخوض فى شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر ، وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ، ويفضى به شغل إلى شغل ، بل إلى أشغال ، إلى أن تخطفه المنية فى وقت لا يحتسبه ، فتطول عند ذلك حسرته

وأكثر أهل النار وصياحهم من سوف ، يقولون واحُزْناه من سوف . والمُسوِّف المسكين لا يدرى أن الذى يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غدا ، وإنما يزداد بطول المدة قوة ورسوخاً ، ويظن أنّه يتصور أن يكون للخائض فى الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ، فما يفرغ منها إلا من اطَّرَحَها .

فما قضى أحَدٌ منها لُبانته وما انتهى أرَبٌ إلى أرب(٦٩)

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا ، والأنس بها ، والغفلة عن معنى قوله ﷺ « **أَحْبِبْ مَنْ أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ** »(٧٠)

وأما الجهل : فهو أن الإنسان قد يُعَوّل على الجهل شبابه ، فيستبعد قرب الموت مع الشباب ، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد ، إنما قلوا لأن الموت فى الشباب أكثر . فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب . وقد يستبعد الموتَ لصحته . ويستبعد الموتَ فَجْأَة ، ولا يدرى أن ذلك غير بعيد . وإن كان ذلك بعيداً فالمرض فجأة غير بعيد . وكل مرض فإنما يقع فجأة ، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا .

---

(٦٩) اللبانة بضم اللام المشددة : الحاجة والمطلب والمآرب والأرب : الأمانى .

(٧٠) حديث أحبب من أحببت فإنك مفارقه ـــ الحديث : تقدم غير مرة

ولو تفكر هذا الغافل ، وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ، وشيب ، وكهولة ، ومن صيف ، وشتاء ، وخريف ، وربيع ، من ليل ونهار ، لعظم استشعاره ، واشتغل بالاستعداد له . ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دَعَواه إلى طول الأمل ، وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب ، فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ، ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه . وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ، ولا يقدّر أن تشيع جنازته ، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه ، وهو مشاهدة موت غيره . فأما موت نفسه فلم يألفه ، ولم يتصور أن يألفه ، فإنه لم يقع . وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه ، فهو الأول وهو الآخر . وسبيله أن يقيس نفسه بغيره ، ويعلم أنه لا بد وأن تُحمَل جنازته ، ويُدفن فى قبره . ولعل اللَّبِنَ الذى يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى[٧١] . فتسويفه جهل محض[٧٢] .

واذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا ، فعلاجه دفع سببه .

أما الجهل : فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر ، وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة .

وأما حب الدنيا : فالعلاج فى إخراجه من القلب شديد ، وهو الداء العُضال[٧٣] الذى أعيا الأوّلين والآخرين علاجه ، ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر ، وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب . ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا ، فإن حب

(٧١) اللبن غير المحروق .

(٧٢) محض : أى جهل خالص مؤكد .

(٧٣) العضال : صعب العلاج وشرحها قوله بعدها : الذى أعيا (عجز) الأولين والآخرين علاجه .

الخطير هو الذى يمحو عن القلب حب الحقير . فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف[٧٤] أن يلتفت إلى الدنيا كلها ، وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب . وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص ، فكيف يفرح بها أو يترسخ فى القلب حبها مع الإيمان بالآخرة ! فنسأل الله تعالى أن يُرِينَا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده . ولا علاج فى تقدير الموت فى القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران[٧٥] والأشكال وأنهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوا . أما من كان مستعداً فقد فاز فوزا عظيما . وأما من كان مغرورا بطول الأمل فقد خسر خسراناً مُبيناً .

فلينظر الإنسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه ، وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة ، وكيف تتفتت عظامها . وليتفكر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا أو اليسرى ، فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود ، وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى . وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، ومن الحشر ، والنشر ، وأهوال القيامة ، وقرع النداء يوم العرض الأكبر . فأمثال هذه الأفكار هي التى تجدد ذكر الموت على قلبه ، وتدعوه إلى الاستعداد له .

(٧٤) استكبر وأنف .

(٧٥) أشباهه ومن هم على شاكلته.

بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره

اعلم أن الناس فى ذلك يتفاوتون . فمنهم من يأمل البقاء ويشتهى ذلك أبدا . قال الله تعالى ﴿ **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**(٧٦) ﴾ .

ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذى شاهده ورآه . وهو الذى يحب الدنيا حبا شديدا . قال رسول الله ﷺ (٧٧)« **الشَّيْخُ شَابٌّ فِى حُبِّ طَلَبِ الدُّنْيَا وَإِنِ ٱلْتَفَّتْ تَرْقُوَتَاهُ مِنَ ٱلْكِبَرِ إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَقَلِيلٌ مَاهُمْ** » .

ومنهم من يأمل إلى سنة ، فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ، فلا يقدر لنفسه وجودا فى عام قابل . ولكن هذا يستعد فى الصيف للشتاء ، وفى الشتاء للصيف . فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة .

ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء ، فلا يدخر فى الصيف ثياب الشتاء ، ولا فى الشتاء ثياب الصيف .

ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة ، فلا يستعد إلا لنهاره ، وأما للغد فلا . قال عيسى عليه السلام : لا تهتموا برزق غد ، فإن يكن

---

(٧٦) البقرة آية ٩٦ .

(٧٧) حديث الشيخ شاب فى حب طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل هم لم أجده بهذا اللفظ فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قلب الشيخ شباب على حب اثنين طول الحياة وحب المال .

غد من آجالكم فستأتى فيه أرزاقكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم .

ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة ، كما قال نبينا ﷺ « **يَاعَبْدَ الله إذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَساءِ وَإذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاح** » .

ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة . كان رسول الله ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول « **لَعَلِّى لاَأَبْلُغُهُ** » !!

ومنهم من يكون الموت نُصْبَ عينيه[٧٨] ، كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذى يصلى صلاة مودِّع .

وفيه ورد ما نُقل عن[٧٩] معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، لما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال : ما خطوت خطوة إلا ظننت أنى لاأتبعها أخرى .

وكما نقل عن الأسود وهو حبشى . أنه كان يصلى ليلا ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا ؟ قال أنظر ملك الموت من أى جهة يأتينى .

فهذه مراتب الناس . ولكل درجات عند الله . وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم ، بل بينهما تفاوت فى الدرجة عند الله . فإن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .

---

(٧٨) ماثل له ، وحاضر أمامه كأنما يراه واقعاً به .

(٧٩) حديث سؤاله لمعاذ عن حقيقة إيمانه فقال ما خطوت خطوة إلا ظننت أنى لا أتبعها أخرى : أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وهو ضعيف.

ثم يظهر أثر قصر الأمل فى المبادرة إلى العمل . وكل إنسان يدعى أنه قصير الأمل وهو كاذب ، وإنما يظهر ذلك بأعماله ، فإنه يعتنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها فى سنة ، فيدل ذلك على طول أمله . وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة . فليستعد للموت الذى يرد عليه فى الوقت فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته ، وفرح بأنه لم يضيع نهاره ، بل استوفى منه حظه ، وادخره لنفسه . ثم يستأنف مثله إلى الصباح ، وهكذا إذا أصبح . ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه . فمثل هذا إذا مات سعد وغنم . وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة . والحياة له مزيد .

فليكن الموت على بالك يا مسكين ، فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك ، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ، ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهلت فيه .

بيان المبادرة إلى العمل وحَذر آفة التأخير

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما فى غد ، وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة ، فلا يستعد للذى يقدم إلى شهر أو سنة ، وإنما يستعد للذى ينتظر قدومه غداً . فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار . فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ، ونسي ما وراء المدة ، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها ، لا ينقص منها اليوم الذى مضى . وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا ، فإنه أبدا يرى لنفسه متسعا فى تلك السنة ، فيؤخر العمل ، كما قال ﷺ (٨٠)« **مَا يَنْتَظِرُ أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ غِنىً مُطْغِياً أَوْ فَقْراً مُنْسِياً أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً أَوِ الدَّجَّالَ فَالْدَّجالُ شَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** » .

وقال (٨١)ابن عباس : قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه « **اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِك وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سِقَمِكْ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ** » .

---

(٨٠) حديث ما ينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا أو فقرا منسيا ـــ الحديث : الترمذى من حديث أبى هريرة بلفظ هل ينتظرون الإغناء ـــ الحديث : وقال حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم . وموتاً مُجْهِزاً : أى مُنْهِياً حياته .

(٨١) حديث ابن عباس اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك ـــ الحديث : ابن أبى الدنيا فيه باسناد حسن ورواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدى مرسلا .

وقال ﷺ (٨٢) « **نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ** » أي أنه لايغتنمهما ، ثم يعرف قدرهما عند زوالهما .

وقال ﷺ (٨٣) « **مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ** » .

وقال رسول الله ﷺ (٨٤) « **جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ وَجَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ** »(٨٥) : وكان رسول الله ﷺ إذا أنس من أصحابه غفلة أو غِرّة ، نادى فيهم بصوت رفيع « **أَتَتْكُمُ الْمَنِيَّةُ رَاتِبَةً لاَزِمَةً إِمَّا بِشَقَاوَةٍ وَإِمَّا بِسَعَادَةٍ** » .

وقال (٨٦) أبو هريرة : قال رسول ﷺ « **أَنَا النَّذِيرُ وَالْمَوْتُ الْمُغِيرُ وَالسَّاعَةُ الْمَوْعِدُ** » . (٨٧)وقال ابن عمر : خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَعف فقال « **مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا**

---

(٨٢) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ : البخارى من حديث ابن عباس.

(٨٣) حديث من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حسن ؛ وأدلج : أى سار الليل كله .

(٨٤) حديث جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ــ الحديث : الترمذى وحسنه من حديث أبى ابن كعب .

(٨٥) حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أتتكم المنية . الحديث : ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل من حديث زيد التيمى مرسلا .

(٨٦) حديث أبى هريرة أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد : ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وأبو القاسم البغوى باسناد فيه لين .

(٨٧) حديث ابن عمر خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال ما بقى من الدنيا إلا مثل ما بقى من يومنا هذا فى مثل ما مضى منه : ابن أبى الدنيا فيه باسناد حسن والترمذى نحوه من حديث أبى سعيد وحسنه . والسعف : جريد النخل .

بَقِي مِنْ يَوْمِنَا هَذَا فِي مِثْلِ مَا مَضَى مِنْهُ » : وقال ﷺ[٨٨] « **مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ ثَوْبٍ شُقَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فَبَقِي مُتَعَلِّقاً بِخَيْطٍ فِي آخِرِهِ فَيُوشِكُ ذَلِكَ الْخَيْطُ أَنْ يَنْقَطِعَ** »

وقال[٨٩] جابر : كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته ، واحمرت وجنتاه ، كأنه منذر جيش يقول « **صَبَّحَتْكُمْ وَمَسَّيْتُكُمْ بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ** » وقرن بين أصبعيه . [٩٠]وقال ابن مسعود رضي الله عنه : تلا رسول الله ﷺ ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ** ﴾ فقال « **إِنَّ النُّور إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ** » فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف ؟ قال « **نَعَمْ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُور وَالإِنَابَةُ إِلَى دارِ الْخُلُودِ وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ** » .

وقال السدى : ﴿ **الَّذِى خَلَقَ الْمَوتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**[٩١] ﴾ أى أيكم أكثر للموت ذكرا ، وأحسن له استعدادا ، وأشد منه خوفا وحذرا .

---

(٨٨) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره — الحديث : ابن أبى الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح .

(٨٩) حديث جابر كان اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه — الحديث : مسلم وابن أبى الدنيا فى قصر الأمل واللفظ له . وجنتاه : مثنى وجنة وهى ما ارتفع من الخد .

(٩٠) حديث ابن مسعود تلا رسول الله ﷺ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح — الحديث : ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل والحاكم فى المستدرك .

(٩١) سورة الملك : ٢

وقال حذيفة : ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادى : أيها الناس ، الرحيلَ الرحيلَ . وتصديق ذلك قوله تعالى ﴿ **إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَو يَتَأَخَّرَ** ﴾[٩٢] فى الموت .

وقال سُحَيْم مولى بنى تميم : جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يصلى ، فأوجز[٩٣] فى صلاته ثم أقبل علىّ فقال : أرحنى بحاجتك فإنى أبادر قلت وما تبادر ؟ قال ملك الموت رحمك الله . قال فقمت عنه ، وقام إلى صلاته .

ومرّ داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال : دعنى إنما أبادر خروجَ نفسى .

قال عمر رضي الله عنه : التؤدة فى كل شيء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة .

وقال المنذر : سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه : وَيْحَك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ، ويحك بادرى قبل أن يأتيك الأمر ، حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يرانى !!

وكان الحسن يقول فى موعظته : المبادَرة المبادَرَة ، فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها إلى الله عز وجل . رحم الله امرأ نظر إلى نفسه ، وبكى على عدد ذنوبه . ثم قرأ هذه الآية ﴿ **إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا** ﴾[٩٤] يعنى الأنفاس ، آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد فراق أهلك ، آخر العدد دخولك فى قبرك .

---

(٩٢) المدثر : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .
(٩٣) أوجز : لم يُطِلْ .
(٩٤) مريم : ٨٤ .

واجتهد أبو موسى الأشعرى قبل موته اجتهادا شديدا ، فقيل له لو أمسكت[٩٥] أورفقت بنفسك بعض الرفق ؟ فقال إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها . والذي بقى من أجلى أقل من ذلك : قال فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامرأته : شدى رحلك فليس على جهنم معبر[٩٦] .

وقال بعض الخلفاء على منبره : عبادَ الله ، اتقوا الله ما استعطتم ، وكونوا قوما صِيحَ بهم[٩٧] فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، واستعِدوا للموت فقد أظلكم ، وترحلوا فقد جدّ بكم ، وإن غاية تنقصها اللحظة ، وتهدمها الساعة ، لجديرة بقصر المدة . وإن غائباً يجد به الجديدان (الليل والنهار) لحريّ بسرعة الأوبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة . فالتقيّ عند ربه من ناصح نفسه ، وقدم توبته . وغلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له والشيطان موكل به ، يمنيه التوبة ليُسَوّفها ، ويزين إليه المعصية ليرتكبها ، حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها : وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به . فيالها حسرة على ذى غفلة أن يكون عمره عليه حجة ، وأن تؤديه أيامه إلى شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ، ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ، ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء ، وإنه بيده الخير دائما فعال لما يشاء .

---

(٩٥) أمسك عن بذل الجهد ، وأراح نفسه قليلا رفقا بنفسه ، فإن لها عليه حقا ، ولبدنه عليه حقا ، كما جاء فى الحديث .

(٩٦) اعملى ما يساعدك على العبور والنجاة .

(٩٧) صاح عليهم انسان فأيقظهم وقال لهم : أيها النوام هُبُّوا .

وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ﴿ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ[٩٨] ﴾ قال بالشهوات واللذات ﴿ وَتَرَبَّصْتُمْ[٩٨] ﴾ قال بالتوبة ﴿ وَارْتَبْتُمْ[٩٨] ﴾ قال شككتم ﴿ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللهِ[٩٨] ﴾ قال الموت ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ[٩٨] قال الشيطان .

وقال الحسن : تصبَّروا وتشدّدوا فإنما هي أيام قلائل ، وإنما أنتم ركب وقوف ، يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم .

وقال ابن مسعود : ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف ، وماله عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة .[٩٩]وقال أبو عبيدة الباجي . دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه ، فقال : مرحبا بكم وأهلا ، حياكم الله بالسلام ، وأحلنا وإياك دار المقام . هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم ، فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن ، وتخرجوه عن هذه الأذن ، فإن من رأى محمدا ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً ، لم يضع لبنة على لبنة[١٠٠] ، ولا قصبة على قصبة ، ولكن رفع له علم فشمر إليه ، الْوَحَا الْوَحَا ، النجا النجا ، علام تعرجون ؟ أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا : رحم الله عبداً جعل العيش عيشا واحداً ، فأكل كسرة ، ولبس خلقا ، ولزق بالأرض ،

---

(٩٨) سورة الحديد : ١٤

(٩٩) حديث أبى عبيدة الباجى دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث : ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وابن حبان فى الثقات وأبو نعيم فى الحلية من هذا الوجه .

(١٠٠) اللَّبنة : الطوبة التى يبنى بها . والقصب كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً . الواحدة قصبة . ومنه صلب غليظ تعمل منه (المزامير) وتسقف به البيوت وكان ذلك قديما وهو ما يعرف (بالغاب) وكانت تتخذ منه الأقلام .

واجتهد فى العبادة ، وبكى على الخطيئة ، وهرب من العقوبة ، وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك .

وقال عاصم الأحول : قال لى فضيل الرقاشى وأنا سائله : ياهذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم . ولا تقل أذهب هٰهنا وهٰهنا ، فينقطع عنك النهار . فى لا شىء ، فإن الأمر محفوظ عليك ، ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم .

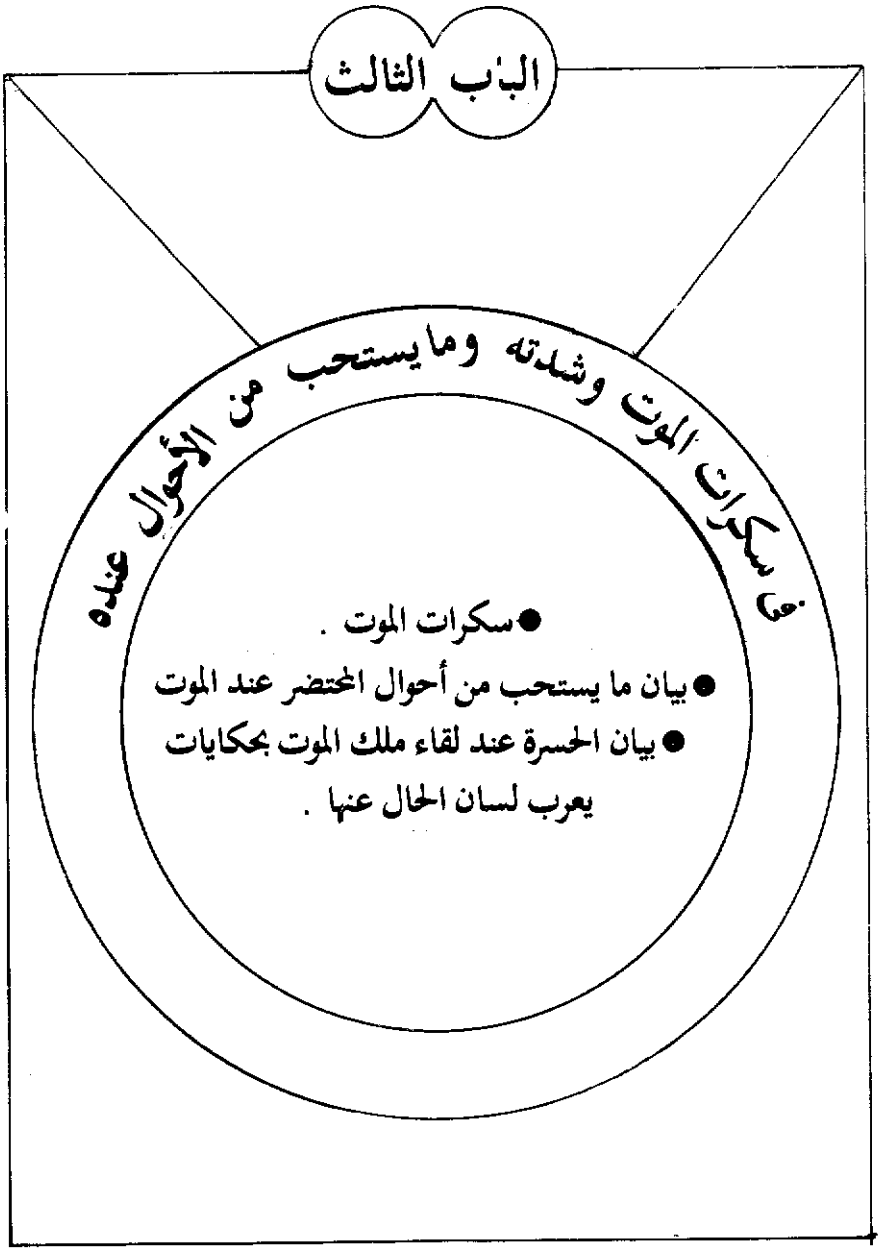
الباب الثالث
في سكرات الموت وشدته ومايستحب من الأحوال عنده
● سكرات الموت .
● بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
● بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات
يعرب لسان الحال عنها .

سكرات الموت !!

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ، ولا هول . ولا عذاب ، سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديرا بأن يتنغص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً[101] بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعداده . لاسيما وهو فى كل نَفَس بِصَدَدِه . كما قال بعض الحكماء : كرب بيد سواك ، لا تدرى متى يغشاك ؟ !!

وقال لقمان لابنه : يا بنى ، أمر لا تدرى متى يلقاك ، استعد له قبل أن يفجأك !!

والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو : فانتظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس خشبات ، لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه . وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع ، وهو عنه غافل . فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور .

واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التى أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس فى النزع[102] على شدة ما هم فيه .

فأما القياس : الذى يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم . فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح . فمهما أصاب العضو جرح أو

(١٠١) حقيقا : جديرا . أى يستحق ذلك ويجدر به أن يفعله

(١٠٢) النزع : خروج الروح من الجسد .

حريق سرى الأثر إلى الروح ، فبقدر ما يسرى إلى الروح يتألم . والمؤلم يتفرق على اللحم ، والدم ، وسائر الأجزاء ، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم . فإن كان فى الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقى غيره ، فما أعظم ذلك الألم وما أشده والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه ، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم . لو أصابته شوكة فالألم الذى يجده إنما يجرى فى جزء من الروح يلاقى ذلك الموضع الذى أصابته الشوكة وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص فى سائر أجزاء البدن ، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا وباطنا إلا وتصيبه النار ، فتحس الأجزاء الروحانية المنتشرة فى سائر أجزاء اللحم .

وأما الجراحة فإنما تصيب الموضع الذى مسه الحديد[١٠٣] فقط ، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار . فألم النزع يهجم على نفس الروح ، ويستغرق جميع أجزائه ، فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق ، وعصب من الأعصاب ، وجزء من الأجزاء ، ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه . حتى قالوا إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ، ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض . لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح ، فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح . وإنما يستغيث المضروب ويصبح لبقاء قوّته فى قلبه وفى لسانه . وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه ، وتصاعد على قلبه ، وبلغ كل موضع منه ، فهدَّ كل قوة ، وضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة الاستغاثة . أما العقل فقد غشيه وشوّشه . وأما اللسان فقد أبكمه . وأما الأطراف قد ضعفها . ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ، ولكنه لا يقدر على ذلك . فإن بقيت فيه قوةٌ سمعت له عند نزع

---

(١٠٣) آلة الجرح .

الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره ، وقد تغير لونه وارْبَدَّ[104] حتى كأنه ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته ، وقد جذب منه كل عرق على حياله ، فالألم منتشر فى داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه ، وتتقلص الشفتان ، ويتقلص اللسان إلى أصله ، وترتفع الانثيان إلى أعالى موضعهما ، وتخضر أنامله . فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه . ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما ، فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم ، لا من عرق واحد ، بل من جميع العروق . ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا ، فتبرد أولا قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذاه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ، ويغلق دونه باب التوبة ، وتحيط به الحسرة والندامة.[105] قال رسول الله ﷺ « **تُقْبَلُ تَوْبَةُ ٱلْعَبدِ مَالَمْ يُغَرْغِرْ** » وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**[106] ﴾ قال : اذا عاين الرسل ، فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت ، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول[107] « **اَللّٰهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ** » .

---

(١٠٤) ارْبَدَّ أصبح فيه رُبْدَة وهى الغبرة عليه غبرة .

(١٠٥) حديث أن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر : الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر ، ويغرغر : يجود بنفسه عند الموت .

(١٠٦) سور النساء : ١٨ .

(١٠٧) حديث كان يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت : تقدم .

سكرات الموت واقعة لا محالة

والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به ، فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوّة والولاية ، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت ، حتى قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة ، يعنى الموت ، فقد خفت الموت مخافة أوقفنى خوفى من الموت على الموت ، وروي أن نفرا من بنى إسرائيل مروا بمقبرة ، فقال بعضهم لبعض : لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه ، فدعوا الله تعالى ، فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود ، قد خرج من قبر من القبور ، فقال ياقوم : ما أردتم منى ؟ لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبى .

وقالت عائشة رضي الله عنها : لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ .

وروي أنه عليه السلام[١٠٨] كان يقول « **اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَأْخُذُ الرُّوحَ مِنْ بَيْنِ الْعَصَبِ وَالْقَصَبِ وَالْأَنَامِلِ اللَّهُمَّ فَأَعِنِّى عَلَى الْمَوْتِ وَهَوِّنْهُ عَلَىَّ** » .

وعن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغُصَّتَه[١٠٩] وألمه فقال

---

(١٠٨) حديث كان يقول اللهم أنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل . الحديث : ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث صعمة بن غيلان الجعفى وهو معضل سقط منه الصحابى والتابعى والمقصود بالقصب عظام اليدين والرجلين وكل عظم مستدير مستطيل أجوف وكل عظم ذى مخ وشعب الحلق ومخارج الأنفاس (المنجد) .

(١٠٩) حديث الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة

« **هُوَ قَدْرُ ثَلَثِمائَةِ ضَرْبَةٍ بالسَّيْفِ** »[١١٠] وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال « **إنَّ أَهْوَنَ الْمَوْتِ بمَنْزِلَةِ حَسَكَةٍ فى صُوفٍ فَهَلْ تَخْرُجُ الْحَسَكَةَ مِنَ الصُّوفِ إلَّا وَمَعَهَا صُوفٌ** ».[١١١] **ودخل ﷺ على مريض ثم قال « إنِّى أَعْلَمُ مَا يَلْقَى مَامِنْهُ عِرْقٌ إلَّا وَيَأْلَمُ لِلْمَوْتِ عَلَى حِدَتِهِ** » .

وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول : إن لم تقتلوا : تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موت على فراش .

وقال الأوزاعى : بلغنا أن الميت يجد ألم الموت مالم يبعث من قبره .

وقال شداد بن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن . وهو أشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، وغلي فى القدور . ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش : ولا لذوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعلمه شدّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة . واذا كان للكافر معروف لم يجزّ به ، هوّن عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار . وعن بعضهم

ضربة بالسيف: ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا ورجاله ثقات . حشرجة الروح وما يعترض الحلق .

(١١٠) حديث سئل عن الموت وشدته فقال: ان أهون الموت بمنزلة حسكة ــ الحديث : ابن أبى الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلا والحسك نبات شائك .

(١١١) حديث دخل على مريض فقال إنى لأعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته ، ابن أبى الدنيا فيه من حديث سلمان بسند ضعيف ورواه فى المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلا مع اختلاف ورجاله ثقات .

أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له : فأنت كيف تجده ؟ فقال : كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي يخرج من ثقب إبره . وقال ﷺ [١١٢] « **مَوْتُ الْفَجْأَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَسَفٌ عَلَى الْفَاجِرِ** » . وروي عن [١١٣] مكحول . عن النبي ﷺ أنه قال « **لَوْ أَنَّ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ الْمَيِّتِ وُضِعَتْ عَلَى أَهْلِ السَّمٰوٰاتِ والأَرْضِ لَمَاتُوا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى** » لأن فى كل شعرة الموتُ ، ولا يقع الموت بشيء إلا مات ! .

ويروى [١١٤] لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت .

وروي أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له : كيف وجدت الموت يا خليلي ؟ قال كسفُّود [١١٥] جعل فى صوف رطب ثم جُذب فقال : أما إنا قد هوّنا عليك » .

وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسى

---

(١١٢) حديث موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر : أحمد من حديث عائشة باسناد صحيح قال وأخذة أسف ولابى داود من حديث خالد السلمى موت الفجأة أخذة أسف .

(١١٣) حديث مكحول لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا — الحديث : ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية أبى ميسرة رفعه وفيه لو أن ألم شعرة وزاد وإن فى يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاعف على الموت سبعين ألف ضعف وأبو ميسرة هو عمرو ابن شرحبيل والحديث مرسل حسن الإسناد .

(١١٤) حديث لو أن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت لم أجد له أصلاً : ولعل المصنف لم يورده حديثاً فإنه قال ويروى .

(١١٥) السَّفُّود : حديد يشوى عليها اللحم والجمع سفافيد أى سيخ .

كالعصفور حين يقلى على المقلى ، لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروي عنه أنه قال : وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب[١١٦] .

وروي عن النبي ﷺ[١١٧] أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول « **اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيَّ سَكَراتِ الْمَوْت** » .

[١١٨] وفاطمة رضي الله عنها تقول : واكرباه لكربك يا أبتاه ! وهو يقول « **لاَ كَرْبَ عَلَى أبيك بَعْدَ ٱلْيَوْمِ** » . وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب ، حدثنا عن الموت . فقال نعم يا أمير المؤمنين : إن الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل ، وأخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى !!

وقال النبي ﷺ[١١٩] « **إنَّ ٱلْعَبْدَ لَيُعَالِجُ كَرْبَ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَإنَّ مَفَاصِلَهُ لَيُسَلِّمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ تَقُولُ عَلَيْك السَّلاَمُ تُفَارِقُنِي وَأُفَارِقُكَ إلى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ** » : فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي ! فإن دواهي الموت ثلاث :

---

(١١٦) القصاب : الجزار .

(١١٧) حديث أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت متفق عليه .

(١١٨) حديث أن فاطمة قالت واكرباه لكربك ياأبت – الحديث : البخاري من حديث أنس بلفظ واكرب أبتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرباه .

(١١٩) حديث أن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض – الحديث : **لأبي هدية إبراهيم بن هدية عن أنس وأبو هدية هالك .**

الأولى : شدة النزع كما ذكرناه .

الداهية الثانية : مشاهدة صورة ملك الموت ، ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته ! التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته . فقد روي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر . قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني . فأعرض عنه ثم التفت ، فإذا هو برجل أسود ، قاتم الشعر ، منتن الريح ، أسود الثياب ، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان . فغشي على ابراهيم عليه السلام ، ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى . فقال يا ملك الموت ، لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسْبه . وروى[١٢٠] أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « **أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ رَجُلاً غَيُوراً وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَ الْأَبْوَابَ فَأَغْلَقَ ذَاتَ يَوْمٍ وَخَرَجَ فَأَشْرَفَتِ امْرَأَتُهُ فَإِذَا هِيَ بِرَجُلٍ فِي الدَّارِ فَقَالَتْ مَنْ أَدْخَلَ هَذَا الرَّجُلَ لَئِنْ جَاءَ دَاوُدُ لَيَلْقَيَنَّ مِنْهُ عَنَاء فَجَاءَ دَاوُدُ فَرَآهُ فَقَالَ مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ أَنَا الَّذِى لاَأَهَابُ الْمُلوكَ وَلاَ يَمْنَعُ مِنِّى الْحِجَابُ فَقَالَ فَأَنْتَ وَاللهِ إِذاً مَلَكُ الْمَوْتِ وَزَمَلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مَكَانَهُ** » .

وروي أن عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجله ، فقال : تكلّمى بإذن الله . فقالت ياروح الله . أنا مَلك زمان كذا وكذا : بينا

---

(١٢٠) حديث أبى هريرة أن داود كان رجلا غيورًا – الحديث : أحمد بإسناد جيد نحوه وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه .

أنا جالس فى ملكي عليّ تاجى ، وحولي جنودي وحشمى ، على سرير ملكى ، إذ بدا لى ملك الموت ، فزال منى كل عضو على حياله[١٢١] ثم خرجت نفسى إليه ، فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ، وياليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشه . فهذه داهية يلقاها العصاة ، ويكفاها المطيعون فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع ، دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ، ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره ، فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال.وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس ، أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا ، وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه . فرجع ذات يوم فإذا برجل فى جوف البيت ، فقال من أدخلك دارى ؟ فقال أدخلنيها ربها . فقال أنا ربها . فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك . فقال من أنت من الملائكة ؟ قال أنا ملك الموت . قال هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عنى ، فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب ، فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال ياملك الموت ، أو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبُه (يكفيه) .

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتِبان عَمله . فإن كان مطيعا قالا له : جزاك الله عنا خيرا ، فرب مجلس صدق أجلستنا ، وعمل صالح أحضرْتَنا . وإن كان فاجرا قالا له لاجزاك الله عنا خيراً فرب مجلسٍ

(١٢١) منفصلا عن بقية الأعضاء ، وعيسى عليه السلام كان مثلا فى الحياء فكيف به يضرب الجمجمة برجله ؟
لعله علم من ربه أن صاحبها كان جبارًا عنيًا ، وقد كان عليه السلام يحيى الموتى

سوءِ أجلَسْتنا ، وعملٍ غير صالح أحضرتنا ، وكلام قبيح أسمعتنا ، فلا جزاء الله عنا خيراً . فذلك شخوص بصر الميت إليهما ، ولا يرجع إلى الدُّنيا أبداً .

مشاهدة العصاة مواضعهم من النار

الداهية الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار ، وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم ، واستسلمت للخروج أرواحهم ، ولن تخرج أرواحهم مالم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البُشريين : إما أبشر يا عدوّ الله بالنار ، أو أبشر يا ولىّ الله بالجنة . ومن هذا كان خوف أرباب الألباب . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم(١٢٢) « **لَنْ يَخْرُجَ أَحَدُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ مَصِيرُهُ وَحَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّار** » . وقال صلى الله عليه وسلم(١٢٣) «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاء الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ الله لِقَاءَهُ** » فقالوا . كلنا نكره الموت . قال « **لَيْسَ ذَاكَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا فُرِجَ لَهُ عَمَّا هُوَ قَادِمٌ عَلَيْهِ أَحَبَّ لِقَاءَ الله وأَحَبَّ الله لِقَاءَهُ** » .

وروي أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو فى مرض موته من آخر الليل . قم فانظر أي ساعة هي . فقام ابن مسعود . ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء ، فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار .

(١٢٢) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار : ابن أبى الدنيا فى الموت من رواية رجل لم يسم عن على موقوفا لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفى رواية حرام على نفسى أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار وفى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك أن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته وأن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته الحديث .

(١٢٣) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه -- الحديث : متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت .

ودخل مروان على أبى هريرة فقال مروان . اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة . اللهم اشدد ، ثم بكى أبو هريرة وقال : والله ما أبكى حزنا على الدنيا ، ولا جزعا من فراقكم ، ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربى بجنة أم بنار .

وروي فى الحديث عن النبي ﷺ(١٢٤) أنه قال « **إِنَّ اللهَ إِذَا رَضِيَ عَنْ عَبْدٍ قَالَ يَامَلَكَ الْمَوْتِ اذْهَبْ إِلَى فُلاَنٍ فَأْتِنِى بروُحِهِ لِأُرِيحَهُ حَسْبِى مِنْ عَمَلِهِ قَدْ بَلَوْتُهُ فَوَجَدْتُهُ حَيْثُ أُحِبُّ فَيَنْزِلُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ خَمْسُمائَةٍ مِنَ الْملاَئِكَةِ وَمَعَهُمْ قُضْبَانُ الرَّيْحَانِ وَأُصُولُ الزَّعْفَرَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُبَشِّرُهُ بِبِشَارَةٍ سِوَى بِشَارَةِ صَاحِبِهِ وَتَقُومُ الْملاَئِكَةُ صَفَّيْنِ لِخُرُوجِ رُوحِهِ مَعَهُمُ الرَّيْحَانُ فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ صَرَخَ** » قال « **فَيَقُولُ لَهُ جُنُودُهُ مَالَكَ يَاسَيِّدَنَا فَيَقُولُ أَمَا تَرَوْنَ مَا أُعْطِيَ هَذَا الْعَبْدُ مِنَ الْكَرَامِةِ أَيْنَ كُنْتُم مِنْ هَذَا قَالُوا قَدْ جَهَدْنا بِهِ فَكانَ مَعْصُوماً** » .

وقال الحسن : لا راحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره ، وفرحه ، وأمنه ، وعزه ، وشرفه .

وقيل لجابر بن زيد عند الموت . ما تشتهى ؟ قال نظرة إلى الحسن . فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه إليه ثم

---

(١٢٤) حديث إن الله إذا رضى عن عبده قال ياملك الموت اذهب إلى فلان فأتنى بروحه لأريحه الحديث : ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت من حديث تميم الدارى بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح فى أول الحديث برفعه وفى آخره ما دل على أنه مرفوع وللنسائى من حديث أبى هريرة بإسناد صحيح إذا حضر الميت أتته ملائكة الرحمة بخريرة بيضاء فيقولون اخرجى راضية مرضية عنك إلى روح الله وريحان ورب راض غير غضبان . الحديث : وبلوته اختبرته . وقضبان الريحان : أعواده . والزعفران نبات أصفر الزهر له أصل كالبصل .

قال . يا إخواناه ، الساعه والله افارقكم إلى النار او إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت : ياإخواناه ، عليكم السلام إلى النار أو يعفو الله ، وتمنى بعضهم أن يبقى فى النزع أبدا ولا يبعث لثواب ولا عقاب .

فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين ، وهو من الدواهى العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة ، وشدة خوف العارفين منه فى كتاب الخوف والرجاء ، وهو لائق بهذا الموضع ، ولكنا لا نطول بذكره وإعادته() .

() يرجع إليه فى كتاب الإحياء .

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر[125] عند الموت

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ، ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى .

أما الصورة : فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال[126] « **ارْقُبُوا الْمَيِّتَ عِنْدَ ثَلاَثٍ إِذَا رَشَحَ جَبِينُهُ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَيَبِسَتْ شَفَتَاهُ فَهُوَ مِنْ عَذَابِ اللهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ** » .

وأما انطلاق لسانه : بكلمة الشهادة فهي علامة الخير . وقال أبو سعيد الخدري : قال رسول الله ﷺ[127] « **لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** » وفي رواية[128] لحذيفة « **فَإِنَّهَا تَهْدِمُ مَاقَبْلَهَا مِنَ الْخَطَايَا** » . وقال عثمان : قال رسول الله ﷺ[129] (1) « **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ** » وقال عبيد الله « **وَهُوَ يَشْهَدُ** »

وقال عثمان : إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة .

---

(١٢٥) المحتضر : من حضرته الوفاة .

(١٢٦) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه – الحديث : الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح .

(١٢٧) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله : أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(١٢٨) حديث حذيفة فإنها تهدم ما قبلها : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وأبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف !

(١٢٩) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة : أخرجه مسلم .

مشروعية التلقين وما ينبغى للملقن

وقال عمر رضى الله عنه:احضروا موتاكم وذكّروهم ، فإنهم يرون مالا ترون ، ولقنوهم لا إله إلا الله . وقال[١٣٠]أبو هريرة . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **حَضَرَ مَلَكُ الْمَوْتِ رَجُلاً يَمُوتُ فَنَظَرَ فِى قَلْبِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئاً فَفَكَّ لَحْيَيهِ فَوَجَدَ طَرَفَ لِسَانِهِ لاَصِقاً بِحَنَكِهِ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَغُفِرَ لَهُ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ** » .

وينبغى للملقن أن لا يلح فى التلقين ، ولكن يتلطف ، فربما لا ينطق لسان المريض ، فيشق عليه ذلك ، ويؤدى إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ، ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة . وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس فى قلبه شيء غير الله ، فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق ، كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم فى حقه . وإن كان القلب مشغوفا بالدنيا ، ملتفتا إليها ، متأسفا على لذاتها ، وكانت الكلمة على رأس اللسان ، ولم ينطبق القلب على تحقيقها ، وقع الأمر فى خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول .

وأما حسن الظن : فهو مستحب فى هذا الوقت . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب الرجاء ، وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله[١٣١] دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال : أخبرنى كيف ظنك بالله ؟

---

(١٣٠) حديث أبى هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر فى قلبه فلم يجد فيه شيئا – الحديث : ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين والطبرانى والبيهقى فى الشعب واسناده جيد إلا أن فى رواية البيهقى رجلا لم يسم وسمى فى رواية الطبرانى اسحق بن يحيى بن طلحة وهو ضعيف .

(١٣١) حديث : دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال أخبرنى كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدى فليظن بى ما شاء ابن حبان بالمرفوع منه ، وأحمد والبيهقى فى الشعب به جميعاً .

قال أغرقتنى ذنوب لى ، وأشرفت على هلكة ، ولكنى أرجو رحمة ربى . فكبّر واثلة ، وكبّر أهل البيت بتكبيره ، وقال الله أكبر . سمعت رسول الله ﷺ يقول « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى فَلْيَظُنَّ بِى مَا شَاء** » .

(١٣٢) ودخل النبى ﷺ على شاب وهو يموت ، فقال « **كَيْفَ تَجِدُكَ** » قال أرجو الله وأخاف ذنوبى . فقال النبى ﷺ « **مَا اجْتَمَعَا فِى قَلْبِ عَبْدٍ فِى مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إلا أَعْطَاهُ اللهُ الَّذِى يَرْجُو وَآمَنَهُ مِنَ الَّذِى يَخَافُ** » .

وقال ثابت البنانى : كان شاب به حدّة ، وكان له أم تعظه كثيرا وتقول له . يابني ، إن لك يوما فاذكر يومك ، فلما نزل به أمر الله تعالى أكبت عليه أمه ، وجعلت تقول له : يابنى ، قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوما . فقال يا أمه ، إن لى ربا كثير المعروف ، وإنى لأرجو أن لا يعدمنى اليوم بعض معروفه . قال ثابت . فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة : كان شاب به رهق فاحْتُضِرَ ، فقالت له أمه يابنىّ توصى بشىء؟ قال نعم خاتمى لا تسلبينيه . فإن فيه ذكر الله تعالى ، فلعل الله يرحمنى . فلما دفن رؤى فى المنام فقال . أخبروا أمى أن الكلمة قد نفعتنى ، وأن الله قد غفر لى .

ومرض أعرابي ، فقيل له إنك تموت . فقال أين يذهب بى ؟ قالوا إلى الله قال فما كراهتى أن أذهب إلى من لا يُرى الخيرُ إلا منه .

---

(١٣٢) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال : كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبى — الحديث رواه ابن ماجه والترمذى بسند جيد عن أنس .

وقال أبو المعتمر بن سليمان : قال أبى لما حضرته الوفاة : يامعتمر ، حدثنى بالرخص[١٣٣] لعلى ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به . وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه .

(١٣٣) أى ما فيه تخفيف وتسهيل وتيسير .

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت
بحكايات يعرب لسان الحال عنها

قال أشعث بن أسلم : سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت ، واسمه عزرائيل ، وله عينان ، عين فى وجهه ، وعين فى قفاه ، فقال ياملك الموت ، ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ، ووقع الوباء بأرض ، والتقى الزحفان ، كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين . وقال قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه ، يتناول منها ما يشاء . قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل .

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام مالى لا أراك تعدل بين الناس ، تأخذ هذا وتدع هذا ؟ قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي صحف أو كتب تلقى إليّ فيها أسماء . وقال وهب ابن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بثياب ليلبسها ، فلم تعجبه ، فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات . وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه ، حتى أتى بدواب ، فركب أحسنها . فجاء أبليس فنفخ فى منخره نفخة ، فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول ، وهو لا ينظر إلى الناس كبرا . فجاءه رجل رث الهيئة ، فسلم فلم يرد عليه السلام . فأخذ بلجام دابته ، فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما . قال إن لى إليك حاجة . قال اصبر

حتى أنزل . قال لا الآن . فقهره على لجام دابته . فقال اذكرها . قال هو سر . فأدنى له رأسه ، فسارّه وقال : أنا ملك الموت فتغير لون الملِك ، واضطرب لسانه ، ثم قال دعنى حتى أرجع إلى أهلى ، وأقضى حاجتى ، وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدا . فقبض روحه ، فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقي عبداً مؤمنا فى تلك الحال : فسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك . فقال هات . فسارّه وقال : أنا ملك الموت . فقال أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته عليّ ، فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إليّ أن ألقاه منك . فقال ملك الموت . اقض حاجتك التى خرجت لها . فقال مالى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى ، قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك ، فقال تقدر على ذلك ؟ قال نعم إنى أمرت بذلك . قال فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ، ثم اقبض روحى وأنا ساجد . فقبض روحه وهو ساجد .

وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى : جمع رجل من بنى إسرائيل مالا ، فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أرونى أصناف أموالى . فأتى بشيء كثير من الخيل ، والإبل والرقيق[١٣٤]، وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه . فرآه ملك الموت وهو يبكى . فقال له ما يبكيك ؟ فو الذى خوّلك[١٣٥] ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك . قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات انقطعت عنك المهلة . فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك ! فقبض روحه .

---

(١٣٤) العبيد .

(١٣٥) خوّلك : أعطاك .

وروي أن رجلا جمع مالا فأوعى ، ولم يدعْ صنفا من المال إلا اتّخذه ، وابتنى قصرا ، وجعل عليه بابين وثيقين[١٣٦] ، وجمع عليه حرسا من غلمانه ، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاما ، وقعد على سرير[١٣٧] ، ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال : يا نفس انعمي لسنين ، فقد جمعت لك ما يكفيك . فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت فى هيئة رجل عليه خلقان من الثياب ، وفى عنقه مخلاة يتشبّه بالمساكين ، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه . فوثب إليه الغلمان وقالوا : ما شأنك ؟ فقال ادعو إليّ مولاكم . فقالوا وإلى مثلك يخرج مولانا ؟ قال نعم : فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به وفعلتم : فقرع الباب قرعة أشد من الأولى ، فوثب إليه الحرس . فقال أخبروه أنى ملك الموت . فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ، ووقع على مولاهم الذل والتخشع ، فقال قولوا له قولا لينا ، وقولوا هل تأخذ به أحدا ؟ فدخل عليه وقال : اصنع فى مالك ما أنت صانع ، فأنى لست بخارج منها حتى أخرج روحك . فأمر بماله حتى وضع بين يديه ، فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتنى عن عبادة ربى ومنعتنى أن أتخلى لربى فأنطق الله المال فقال : لمَ تسبنى وقد كنت تدخل على السلاطين بى : ويُرَدّ المتّقِى عن بابهم ؟ وكنت تنكح المتنعمات بى ، وتجلس مجالس الملوك بى ، وتنفقنى فى سبيل الشر فلا أمتنع منك ، ولو أنفقتنى فى سبيل الخير نفعتك . خلقت وابن آدم من تراب ، فمنطلق ببرّ ، ومنطلق بإثم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط .

---

(١٣٦) محكمين .

(١٣٧) كرسى مما يجلس عليه أصحاب الشأن .

وقال وهب بن منبه : قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ، مافى الأرض مثله ، ثم عرج إلى السماء ، فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه ؟ قال أمرت بقبض نفس امرأة فى فلاة[١٣٨] من الأرض ، فأتيتها وقد ولدت مولودا ، فرحمتها لغربتها ، ورحمت ولدها لصغره وكونه فى الفلاة لامتعهد له بها فقالت الملائكة : الجبار الذى قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذى رحمته . فقال ملك الموت ، سبحان اللطيف لمن يشاء !!

قال عطاء بن يسار : إذا كان ليلة النصف من شعبان ، دفع إلى ملك الموت صحيفة ، فيقال اقبض فى هذه السنة مَن فى هذه الصحيفة . قال فإن العبد ليغرس الغراس ، وينكح الأزواج ، ويبنى البنيان ، وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى .

وقال الحسن : ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه ، وانقضى أجله . قبض روحه . فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء ، فيأخذ ملك الموت بعضادتى[١٣٩] الباب فيقول : والله ماأكلت له رزقا ، ولا أفنيت له عمرا ، ولا انتقصت له أجلا ، وإن لى فيكم لعودة بعد عودة . حتى لا أبقى منكم أحدا ، قال الحسن : فوالله لو يرون مقامه ، ويسمعون كلامه ، لذهلوا عن ميتهم ، ولبكوا على أنفسهم .

وقال يزيد الرقاشى : بينما جبار من الجبابرة من بنى إسرائيل جالس فى منزله قد خلا ببعض أهله ، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته ، فثار إليه فزعا مغضبا ، فقال له من أنت ؟ ومن أدخلك على

(١٣٨) الفلاة : الصحراء .

(١٣٩) عضادتى الباب : خشبته من جانبيه .

دارى ؟ فقال أما الذى أدخلنى الدار فربّها . وأما أنا فالذى لا يمنع منى الحجاب ، ولا استأذن على الملوك ، ولا أخاف صولة المتسلطين ، ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ، ولا شيطان مريد قال فسقط فى يده الجبار ، وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه ، ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له . فقال له : أنت إذا ملك الموت . قال أنا هو . قال فهل أنت ممهلى حتى أحدث عهدا ؟ قال هيهات[١٤٠] انقطعت مدتك ، وانقضت أنفاسك . ونفدت ساعاتك ، فليس إلى تأخيرك سبيل . قال فإلى أين تذهب بى ؟ قال إلى عملك الذى قدمته ، وإلى بيتك الذى مهدته قال فإنى لم أقدم عملا صالحا . ولم أمهد بيتا حسنا . قال فإلى لظى[١٤١] . نزاعة للشوى[١٤٢] ثم قبض روحه ، فسقط ميتاً بين أهله . فمن بين صارخ وباك .

قال يزيد الرقاشى : لو يعلمون سوء المنقلب[١٤٣] كان العويل على ذلك أكثر .

وعن الأعمش ، عن خيثمة قال : دخل ملك الموت على سليمان ابن داود عليهما السلام ، فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه ، فلما خرج قال الرجل من هذا ؟ قال هذا ملك الموت . قال لقد رأيته ينظر إلىّ كأنه يريدنى . قال فماذا تريد ؟ قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند . ففعلت الريح ذلك . ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانيا : رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى ، قال نعم : كنت أتعجب منه ، لأنى كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة ، وكان عندك فعجبت من ذلك .

(١٤٠) بَعُدَ ما تطلب وأصبح خارجا عما هو مقدر لك .
(١٤١) اللظى : النار واسم من أسماء جهنم .
(١٤٢) الشوى : الأطراف ومنها اليدان والرجلان . (١٤٣) المصير .

الباب الرابع
في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده
• وفاة رسول الله ﷺ .
• وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
• وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
• وفاة عثمان رضي الله عنه .
• وفاة علي كرم الله وجهه .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيا وميتا ، وفعلا وقولا . وجميع أحواله عبرة للناظرين ، وتبصرة للمستبصرين ، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه ، وكان صفيه ، ورسوله ، ونبيه . فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته ؟ وهل أخره لحظة بعد حضور منيته؟[١٤٤] لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام[١٤٥] ، فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها ، وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان ، وخيرات حسان ، بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن . فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه ، وترادف قلقه وارتفع حنينه ، وتغير لونه وعرق جبينه ، واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضره ، وانتحب[١٤٦] لشدة حالة من شاهد منظره . فهل رأيت منصب النبوّة دافعا عنه مقدورا ؟ وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا ؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا ، وللخلق بشيرا ونذيرا ؟ هيهات ، بل امتثل ما كان به مأمورا ، واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا . فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود ، والحوض المورود . وهو أول من تنشق عنه الأرض ، وهو صاحب

(١٤٤) المنية : الموت .

(١٤٥) الأنام : الخلق والناس .

(١٤٦) النحيب : البكاء الشديد .

الشفاعة يوم العرض . فالعجب أنا لانعتبر به ، ولسنا على ثقة فيما نلقاه ، بل نحن أسراء الشهوات ، وقرناء المعاصي والسيآت ، فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين ، وإمام المتقين، وحبيب رب العالمين ؟ لعلنا نظنّ أننا مخلدون ، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون ، هيهات هيهات ، بل نتيقن أنا جميعاً على النار واردون ، ثم لا ينجو منها إلا المتقون . فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين ، فما نحن والله من المتقين ، وقد قال الله رب العالمين ﴿ **وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّا** ﴾(١٤٧) .

فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين ، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم انظر إلى سيد المرسلين ، فإنه كان من أمره على يقين ، إذ كان سيد النبيين ، وقائد المتقين . واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا ، وكيف اشتدّ أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى . قال(١٤٨)ابن مسعود رضي الله عنه : دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمّنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه

---

(١٤٧) مريم : ٧١ - ٧٢ .

(١٤٨) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق الحديث : رواه البزار وقال هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن الاصبهاني لم يسمع هذا من مرة وانما هو عمن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة قلت وقد روى من غير ما وجه رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الانصاري من رواية الحسن العرني عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضعيفان والحسن العرني إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط .

ﷺ ثم قال « مَرْحَبًا بِكُمْ حَيَّاكُمُ اللهُ ، آوَاكُمُ اللهُ ، نَصَرَكُمُ اللهُ ، وَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَأُوصِي بِكُمُ اللهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَّا تَعْلُوا عَلَى اللهِ فِي بِلَادِهِ وَعِبَادِهِ وَقَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَإِلَى الْكَأْسِ الْأَوْفَى فَاقْرَءُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَلَى مَنْ دَخَلَ فِي دِينِكُمْ بَعْدِي مِنِّي السَّلَامَ وَرَحْمَةَ اللهِ » .

وروى[١٤٩] أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته « **مَنْ لِأُمَّتِي بَعْدِي** » فأوحى الله تعالى إلى جبريل أَنْ بَشِّرْ حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشّره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا ، وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمّته . فقال « **الْآنَ قَرَّتْ عَيْنِي** » . وقالت[١٥٠] عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار . ففعلنا ذلك . فوجد راحة ، فخرج فصلى بالناس ، واستغفر لأهل أحد . ودعا لهم ، وأوصى بالأنصار فقال « **أَمَّا بَعْدُ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَإِنَّكُمْ تَزِيدُونَ وَأَصْبَحَتِ الْأَنْصَارُ لَا تَزِيدُ عَلَى هَيْئَتِهَا الَّتِي هِيَ عَلَيْهَا الْيَوْمَ وَإِنَّ الْأَنْصَارَ عَيْبَتِي**[١٥١] **الَّتِي آوَيْتُ إِلَيْهَا فَأَكْرِمُوا كَرِيمَهُمْ** » يعني محسنهم

(١٤٩) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته ـــ الحديث : الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي المصطفاة من بعدي قال أبشر ياحبيب الله فإن الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك! قال الآن طابت نفسي وإسناده ضعيف .

(١٥٠) حديث عائشة أمرنا أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ـــ الحديث : الدارمي في مسنده وفيه ابراهيم المختار مختلف فيه عن محمد ابن اسحق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة .

(١٥١) عيبتي: خاصتي وموضوع سري ، والعيبة الصندوق .

« **وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ** » **ثم قال** « **إِنَّ عَبْداً خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللهِ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ** » فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، وظن أنه يريد نفسه . فقال النبي ﷺ « **عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَمْراً أَفْضَلَ عِنْدِي فِي الصُّحْبَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ** » قالت[١٥٢] عائشة رضى الله عنها فقبض ﷺ فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت ، فدخل علىّ أخى عبد الرحمن وبيده سواك ، فجعل ينظر إليه ، فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت له آخذه لك ؟ فأومأ برأسه أي نعم . فناولته إياه . فأدخله فى فيه ، فاشتد عليه . فقلت أُلَيِّنُهُ لك ؟ فأومأ برأسه أى نعم فلينته . وكان بين يديه ركوة[١٥٣] ماء ، فجعل يدخل فيها يده ويقول « **لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَكَرَاتٍ** » ثم نصب يده يقول « **الرَّفِيقَ الْأَعْلَى الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** » فقلت إذاً والله لا يختارنا .

وروى[١٥٤] سعيد عبد الله عن أبيه قال : لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلا ، أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس رضي الله عنه ، على النبى ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم . ثم دخل عليه الفضل ، فأعلمه بمثل ذلك . ثم دخل عليه علىّ رضي الله عنه ، فأعلمه بمثله .

---

(١٥٢) حديث عائشة قبض فى بيتى وفى يومى بين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت الحديث متفق عليه .

(١٥٣) ركوة : إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء .

(١٥٤) حديث سعيد بن عبد الله عن أبيه : قال لما رأت الأنصار رسول الله ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم فذكر الحديث فى خروجه متوكئا معصوب الرأس يخط رجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر فذكر خطبته بطولها هو حديث مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلا وأبوه عبد الله بن ضرار بن الازور تابعى روى عن ابن مسعود قال أبو حاتم فيه وفى أبيه سعيد ليس بالقوى .

فمد يده وقال ها فتناولوه . فقال « مَاتَقُولُونَ ؟ » قالوا نقول نخشى أن تموت . وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ فثار رسول الله ﷺ ، فخرج متوكئا على عليّ والفضل ، والعباسُ أمامه ، ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه ، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثاب الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه وقال « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ بَلَغَنِى أَنَّكُمْ تَخَافُونَ عَلَىَّ ٱلْمَوْتَ كَأَنَّهُ ٱسْتِنْكَارٌ مِنْكُمْ لِلْمَوْتِ وَمَا تُنْكِرُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ أَلَمْ أُبْعَ إِلَيْكُمْ وَتُنْعَى إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ هَلْ خُلِّدَ نَبِىٌّ قَبْلِى فِيمَنْ بُعِثَ فَأُخَلَّدُ فِيكُمْ أَلاَ إِنِّى لاَحِقٌ بِرَبِّى وَإِنَّكُمْ لاَحِقُونَ بِهِ وَإِنِّى أُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ ٱلْأَوَّلِينَ خَيْراً وَأُوصِى الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ۞ وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا[١٥٥] » إلى آخرها « وَإِنَّ ٱلْأُمُورَ تَجْرِى بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ استبطاء أَمْرٍ عَلَى ٱسْتِعْجَالِهِ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَعْجَلُ لِعَجَلَةِ أَحَدٍ وَمَنْ غَالَبَ اللهَ غَلَبَهُ وَمَنْ خَادَعَ اللهَ خَدَعَهُ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ وَأُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ خَيْراً فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمُ التِّمَارَ. أَلَمْ يُوسِّعُوا عَلَيْكُمْ فِى الدِّيَارِ. أَلَمْ يُؤْثِرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمْ الْخَصَاصَةُ[١٥٦] أَلاَ فَمَنْ وُلِّىَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ أَلاَ وَلاَ تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ أَلاَ وَإِنِّى فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لاَحِقُونَ بِى أَلاَ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ حَوْضِى أَعْرَضُ مِمَّا بَيْنَ بِصْرَى الشَّامِ وَصَنْعَاء ٱلْيَمن يَصُبُّ فِيهِ مِيزَابُ ٱلْكَوثَرِ مَاءً أَشَدَّ

(١٥٥) العصر : ١ ، ٢ ، ٣ .

(١٥٦) الخصاصة : الجوع .

بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَلْيَنَ مِنَ الزَّبَدِ وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً حَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤُ وَبَطْحَاؤُهُ الْمِسْكُ مَنْ حُرِمَهُ فِي الْمَوْقِفِ غداً حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ أَلاَ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غداً فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ وَيَدَهُ إِلَّا مِمَّا يَنْبَغِي » فقال العباس : يانبي الله ، أوص بقريش . فقال « إِنَّما أُوصِي بِهَذَا الأَمْرِ قُرَيْشاً وَالنَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ بَرُّهُمْ لِبَرِّهِمْ وَفَاجِرُهُمْ لِفَاجِرِهِمْ فَاسْتَوْصَوْا آلَ قُرَيْشٍ بِالنَّاسِ خَيْراً يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الذُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ وَتُبَدِّلُ الْقِسْمَ فَإِذَا بَرَّ النَّاسُ بَرَّهُمْ أُمَّتُهُمْ وَإِذَا فَجَرَ النَّاسُ عَقَّوهُمْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[١٥٧] » .

يروي ابن مسعود رضي الله عنه[١٥٨] أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه « سَلْ يَا أَبَابَكْرٍ » فقال يا رسول الله دنا الأجل ؟ فقال « قَدْ دَنَا الْأَجَلُ وَتَدَلَّى » فقال لِيَهْنِكَ[١٥٩] يانبي الله ما عند الله ، فليت شعري عن منقلبنا فقال « إِلَى اللهِ وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى وَالْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى وَالْكَأْسِ الْأَوْفَى وَالرَّفِيقِ الْأَعْلَى وَالْحَظِّ وَالْعَيْشِ الْمُهَنَّأِ » فقال يا نبي الله ، من يلي غسلك ؟ قال « رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى » قال ففيم نكفنك ؟ فقال « فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حُلَّةٍ يَمَانِيَّةٍ وَفِي بَيَاضٍ مُصَرٍ » فقال كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكينا وبكى . ثم قال « مَهْلاً غَفَرَ اللهُ لَكُمْ وَجَزَاكُم عَنْ نَبِيِّكُمْ خَيْراً

(١٥٧) الأنعام : ١٢٩

(١٥٨) حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر سل يا أبا بكر فقال يارسول الله دنا الأجل فقال: قد دنا الأجل ـــ الحديث : في سؤالهم له من يلي غسلك وفيم نكفنك وكيفية الصلاة عليه رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر وهو الواقدي بإسناد ضعيف إلى ابن عوف عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف.

(١٥٩) هنيئاً لك .

إِذَا غَسَّلْتُمُونِي وَكَفَّنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ[١٦٠] ﴾ ثُمَّ يَأْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ فَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَيُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ ثُمَّ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْمَعِهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَنْتُمْ فَادْخُلُوا عَلَيَّ أَفْوَاجاً فَصَلُّوا عَلَيَّ أَفْوَاجاً زُمْرَةً زُمْرَةً وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً وَلَا تُؤْذُونِي بِتَزْكِيَةٍ وَلَا صَيْحَةٍ وَلَا رَنَّةٍ وَلْيَبْدَأْ مِنْكُمُ الإِمَامُ وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى ثُمَّ زُمَرُ النِّسَاءِ ثُمَّ زُمَرُ الصِّبْيَانِ » قال فمن يدخلك القبر ؟ قال « زُمَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِيَ الْأَدْنَى فَالْأَدْنَى مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا تَرَوْنَهُمْ وَهُمْ يَرَوْنَكُمْ . قُومُوا فَأَدُّوا عَنِّي إِلَى مَنْ بَعْدِي » .

وقال[١٦١] عبد الله بن زمعة: جاء بلال فى أول شهر ربيع الأول ، فأذن بالصلاة ، فقال رسول الله ﷺ « مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ » فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم ياعمر فصل بالناس ، فقام عمر ، فلما كبّر وكان رجلاً صيتاً .

---

(١٦٠) سورة الأحزاب : ٤٣ .

(١٦١) حديث عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبى صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب الا عمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر الحديث : أبو داود باسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة:إن أبا بكر رجل رقيق الى آخره ولم يقل فى أول ربيع الأول وقال:مروا من يصلى بالناس وقال:يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين وفى رواية له فقال:لا لا لا ليصل للناس ابن أبى قحافة يقول ذلك مغضبا وأما ما فى آخره من قول عائشة ففى الصحيحين من حديثها فقالت عائشة : يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال : إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس .

سمع رسول الله ﷺ بالتكبير ، فقال « **أَيْنَ أَبُو بَكْرٍ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ** » قالها ثلاث مرات « **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » فقالت عائشة رضي الله عنها ، يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب ، إذا قام فى مقامك غلبه البكاء . فقال « **إِنَّكُنَّ صَوَيْحِبَاتُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَابَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ** » قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التى صلى عمر . فكان عمر يقول لعبد الله بن زمعة بعد ذلك : ويحك ماذا صنعت بى ؟ والله لولا أنى ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك مافعلت . فيقول عبد الله : إنى لم أر أحدا أولى بذلك منك . قالت عائشة رضي الله عنها : وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبى بكر إلا رغبة به عن الدنيا ، ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله ، وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبي ﷺ وهو حيّ أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون إليه ، ويتشاءمون به ، فإذاً الأمر أمر الله ؟ والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين .

استئذان ملك الموت فى الدخول على النبى ﷺ

وقالت[١٦٢] عائشة رضي الله عنها : فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ ، رأوا منه خِفة فى أوّل النهار ، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء ،

(١٦٢) حديث عائشة لما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وجوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على ـــ الحديث : بطوله فى مجىء ملك الموت ثم ذهابه ثم مجىء جبريل ثم مجىء ملك

فبينا نحن على ذلك ، لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله ﷺ « **أُخْرُجْنَ عَنِّى هَذَا الْمَلَكُ يَسْتَأْذِنُ عَلَيَّ** » فخرج من فى البيت غيرى ، ورأسه فى حجرى ، فجلس وتنحيت فى جانب البيت ، فناجى الملك طويلا ، ثم إنه دعانى ، فأعاد رأسه فى حجرى ، وقال للنسوة « **ادْخُلْنَ** » فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام . فقال رسول الله ﷺ « **أَجَلْ يَاعَائِشَةُ هَذَا مَلَكُ الْمَوْتِ جَاءَنِى فَقَالَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِى وَأَمَرَنِى أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنٍ فَإِنْ لَمْ تَأْذَنْ لِى أَرْجِعْ وَإِنْ أَذِنْتَ لِى دَخَلْتُ وَأَمَرَنِى أَنْ لَا أَقْبِضَكَ حَتَّى تَأْمُرَنِى فَمَاذَا أَمْرُكَ فَقُلْتُ اكْفُفْ عَنِّى حَتَّى يَأْتِيَنِى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهَذِهِ سَاعَةُ جِبْرِيلَ** » .

الموت ووفاته صلى الله عليه وسلم : الطبرانى فى الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف فى حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله الى ملك الموت أن اهبط الى حبيبى وصفيى محمد صلى الله عليه وسلم فى أحسن صورة وارفق به فى قبض روحه وفيه دخول ملك الموت واستئذانه فى قبضه فقال يا ملك الموت أين خلفت حبيبى جبريل قال:خلفته فى سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أذن يا ملك الموت فائته إلى ما أمرت به ــ الحديث : وفيه فدنا ملك الموت يعالج قبض روح النبى صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك الى أن قال فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل فى ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه ادريس أيضا متروك قال الدارقطنى:ورواه الطبرانى أيضا من حديث الحسين بن على أن جبريل جاءه أولا فقال له عن ربه كيف تجدك؟ ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء اسماعيل وان جبريل دخل أولا فسأله ثم استأذن ملك الموت وقوله:امض لما أمرت به وهو منكر أيضا فيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخارى ذاهب ــ الحديث : ورواه أيضا من حديث ابن عباس فى مجىء ملك الموت أولا واستئذانه وقوله إن ربك يقرئك السلام فقال:أين جبريل فقال:هو قريب منى الآن يأتى فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل ــ الحديث : وفيه المختار ابن نافع منكر الحديث قاله البخارى وابن حبان .

فقالت عائشة رضى الله عنها . فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى ، فوجمنا[١٦٣] وكأنما ضربنا بصاخة[١٦٤] ما نحير إليه شيئا ، وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا . قالت وجاء جبريل فى ساعته . فسلّم فعرفت حسّه ، وخرج أهل البيت ، فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك ؟ وهو أعلم بالذى تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا ، وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق ، وأن تكون سنّة فى أمتك . فقال « **أَجِدُنِي وَجِعًا** »[١٦٥] فقال : أبشر ، فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعدّ لك . فقال « **يَا جِبْرِيلُ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ** » وأخبره الخبر فقال جبريل . يا محمد ، إن ربك إليك مشتاق ، ألم يعلمك الذى يريد بك ؟ لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ، ولا يستأذن عليه أبدا ، إلا أن ربك مُتِمٌّ شرفك ، وهو إليك مشتاق . قال « **فَلَا تَبْرَحْ إِذاً حَتَّى يَجِيءَ** » وأذن للنساء فقال « **يَافَاطِمَةُ اذْنِي** » فأكبَّتْ عليه ، فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناها تدمع ، وما تطيق الكلام . ثم قال « **أَدْنِي مِنِّي رَأْسَكِ** » فأكبت[١٦٦] عليه ، فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك ، وما تطيق الكلام . فكان الذى رأينا منها عجبا . فسألتها بعد ذلك فقالت : أخبرنى وقال: « **إِنِّي مَيِّتٌ الْيَوْمَ** » فبكيت : ثم قال « **إِنِّي دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُلْحِقَكِ بِي فِي أَوَّلِ أَهْلِي وَأَنْ يَجْعَلَكِ مَعِي** » فضحكت وأدنت ابنيها منه ، فشمهما : قالت وجاء ملك الموت ، فسلم واستأذَنَ ، فأذن له فقال

(١٦٣) وجمنا : عجزنا عن التكلم من شدة الموقف .

(١٦٤) الصاخة : الداهية . وما نُحِرُ إليه شيئاً : لا ندرى ما نقول .

(١٦٥) أى أحس بوجع .

(١٦٦) أكبَّت عليه : أقبلت .

الملك : ما تأمرنا يا محمد ؟ قال « **أَلْحِقْنِي بِرَبِّي الْآنَ** » فقال بلى من يومك هذا ، أما إن ربك إليك مشتاق ، ولم يتردد عن أحد تردده عنك ، ولم ينهنى عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ، ولكن ساعتك أمامك . وخرج . قالت وجاء جبريل فقال : السلام عليك يارسول الله ، هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا ، طُوِىَ الوحيُ ، وطُوِيَت الدنيا ، وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك ، ومالى فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم مَوقفى . لا والذى بعث محمدا بالحق ، ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ، ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ، وَوَجْدِنَا وإشفاقنا . قالت فقمت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثدىَّ : وأمسكت بصدره ، وجعل يغمى عليه حتى يغلب ، وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت ذلك العرق ، وما وجدت رائحة شىء أطيب منه ، فكنت أقول له إذا أفاق : بأبى أنت وأمى ، ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح فقال « يَاعَائِشَةُ إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَخْرُجُ بِالرَّشْحِ وَنَفْسَ الْكَافِرِ تَخْرُجُ مِنْ شِدْقَيْهِ كَنَفْسِ الْحِمَارِ ، فعند ذلك ارتعنا ، وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخى ، بعثه إلىّ أبى ، فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجىء أحد ، وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمي عليه قال « **بَلِ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى** » كأن الخيرة تعاد عليه . فإذا أطاق الكلام قال « **الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ إِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ مُتَمَاسِكِينَ مَا صَلَّيْتُمْ جَمِيعاً الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ** » كان يوصى بها حتى مات وهو يقول « **الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ** » .

يوم وفاته ﷺ

قالت[١٦٧] عائشة رضى الله عنها : مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين ، قالت فاطمة رضي الله عنها : مالقيت من يوم الاثنين ؟ والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم : يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفه مثلها : مالقيت من يوم الاثنين ؟ مات فيه رسول الله ، وفيه قتل علىّ ، وفيه قتل أبى ، فما لقيت من يوم الاثنين ؟ .

حال الصحابة عند موته ﷺ

وقالت عائشة[١٦٨] رضى الله عنها : لما مات رسول الله ﷺ اقتحم النابس حين ارتفعت الرنة ، وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه ، فاختلفوا فكذب بعضهم بموته ، وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد ، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير كلام ، وبقى آخرون معهم عقولهم ، وأقعد آخرون . فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته ، وعلىّ فيمن أقعد ، وعثمان فيمن أخرس . فخرج عمر على الناس وقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدى وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت . إنما واعده الله عز وجل كما وعد موسى ، وهو آتيكم . وفى رواية أنه قال : ياأيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت . والله لأسمع أحداً يذكر أن

---

(١٦٧) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

(١٦٨) حديث عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت ـــ الحديث : الى قوله عند ربكم تختصمون لم أجد له أصلاً وهو منكر .

رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفي هذا . وأما علىّ فإنه أقعد يبرح فى البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً ، يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به .

ثبات أبى بكر والعباس عند موته عليه السلام

ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس ، فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرعوا إلا بقول أبى بكر ، حتى جاء العباس فقال : والله الذى لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ، ولقد قال وهو بين أظهركم ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾[١٦٩] .

وبلغ أبا بكر الخبر[١٧٠] وهو فى بنى الحارث بن الخزرج ، فجاء ودخل على رسول الله ﷺ ، فنظر إليه ، ثم أكب عليه فقبّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما كان الله ليذيقك الموت مرتين ، فقد والله توفى رسول الله ﷺ . ثم خرج إلى الناس فقال : أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حىّ لا يموت . قال الله تعالى ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾[١٧١] الآية . فكان الناس لم يسمعوا هذه الاية إلا يومئذ

(١٦٩) الزمر : ٣٠ ، ٣١

(١٧٠) حديث بلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحارث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبى أنت وأمى ما كان الله ليذيقك الموت مرتين الحديث : إلى آخر قوله وكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ : البخارى ومسلم من حديث عائشة أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل ودخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال:بأبى وأمى أنت والله لا يجمع الله عليك موتين أما الموتة التى كتبت عليك فقد متّها ولهما من حديث ابن عباس ان أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس – الحديث : وفيه والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل هذه الآية تلاها أبو بكر لفظ البخارى فيهما .

(١٧١) آل عمران : ١٤٤ .

خطبة أبى بكر عند موته عليه السلام

وفى رواية[١٧٢] أن أبا بكر رضى الله عنه لما بلغه الخبر ، دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلى على النبي ﷺ ، وعيناه تهملان ، وغصصه ترتفع كقصع الجِرَّة[١٧٣] ، وهو فى ذلك جَلْد الفعل والمقال . فأكب عليه ، فكشف عن وجهه ، وقبّل جبينه وخديه ، ومسح وجهه ، وجعل يبكى ويقول : بأبى أنت وأمى ، ونفسى ، وأهلى ، طبت حياً وميتاً ، انقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوّة ، فعظمتَ عن الصفة ، وَجَلَلتْ عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسْلاة ، وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس . ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماءُ العيون : فأما مالا نستطيع نفيه عنا فكمد وادّكار مخالفان لا يبرحان . اللّهم فأبلغه عنا ، اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلقت من الوحشة . اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا .

وعن بن عمر ، أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى ، عج أهل البيت عجيجا سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيئا ازدادوا ، فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال : السلام عليكم يا

---

(١٧٢) حديث أن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلى على النبى ﷺ وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو فى ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف الثوب عن وجهه — الحديث : إلى قوله واحفظه فينا ابن أبى الدنيا من كتاب العزاء من حديث ابن عمر باسناد ضعيف جاء أبو بكر رسول الله ﷺ مسجى فكشف الثوب عن وجهه — الحديث : إلى آخره .

(١٧٣) الجِرَّة : ما يجتره البعير ونحوه . وقصع الجرة : ردها إلى الجوف أو مضغها .

أهل البيت ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾(١٧٤) الآية إن فى الله خلفا(١٧٥) من كل أحد ودركا لكل رغبة ، ونجاة من كل مخافة ، فالله فارجوا ، وبه فثقوا فاستمعوا له وأنكروه ، وقطعوا البكاء ، فلما انقطع البكاء فقد صوته ، فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ، ثم عادوا فبكوا ، فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته ، ياأهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ، إن فى الله عزاء من كل مصيبة ، وعوضا من كل رغيبة ، فالله فأطيعوا ، وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١٧٤) العنكبوت : ٥٧

(١٧٥) حديث ابن عمر فى سماع التعزية به ﷺ أن فى الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا ثم سمعوا آخر بعده أن فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل رغبة فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الخضر واليسع : لم أجد فيه ذكر اليسع وأما ذكر الخضر فى التعزية فأنكر النووى وجوده فى كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بلى قد رواه الحاكم فى المستدرك فى حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين فى إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتى باب البيت فبكى على رسول الله ﷺ ثم أقبل على أصحابه فقال إن فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فإلى الله تعالى فأنيبوا ونظره إليكم فى البلاء فانظروا فإن المصاب من يحبو الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر أخو نبينا عليه السلام جاء يعزينا ورواه الطبرانى فى الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبى الدنيا أيضا من حديث على بن أبى طالب لما قبض رسول الله ﷺ جاء آت فسمع حسه ولا يرى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن فى الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال على تدرون من هذا هو الخضر وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين على بن الحسين وبين جده على والمعروف عن على ابن الحسين مرسلاً من غير ذكر علىّ كما رواه الشافعى فى الأم وليس فيه ذكر الخضر .

واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبى بكر رضي الله عنه فقال : قام أبو بكر فى الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم ، بخطبة جُلّها الصلاة علي النبي ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده . ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلله الحمد وحده . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخاتم أنبيائه ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع : وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين . اللهم فصل على محمد عبدك ، ورسولك ، ونبيك ، وحبيبك ، وأمينك ، وخيرتك ، وصفوتك ، بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ، ومعافاتك ، ورحمتك ، وبركاتك ، على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين . محمد قائد الخير ، وإمام الخير ، ورسول الرحمة . اللهم قرّب زلفته ، وعظم برهانه ، وكرم مقامه ، وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأوّلون والآخرون ، وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة ، واخلفه فينا فى الدنيا والآخرة ، وبلّغه الدرجة والوسيلة فى الجنة . اللهم صلى على محمد . وعلى آل محمد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت وباركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد . أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت . وإن الله قد تقدم إليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ماعندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرّق بينهما أنكره ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** ﴾(١٧٦) ولا يشغلكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم ، وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم .

(١٧٦) النساء : ١٣٥.

وقال ابن عباس : لما فرغ أبو بكر من خطبته قال : يا عمر ، أنت الذى بلغنى أنك تقول مامات نبي الله ﷺ ، أما ترى أن نبي الله ﷺ قال يوم كذا . كذا وكذا ، ويوم كذا . كذا وكذا ، وقال تعالى فى كتابه ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[١٧٧] فقال : والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل ، وأن الحديث كما حدّث ، وأن الله حي لا يموت ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وصلوات الله على رسوله ، وعند الله نحتسب رسوله ﷺ . ثم جلس إلى أبى بكر .

موقف الصحابة عند غسله عليه الصلاة والسلام

وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا : والله ما ندرى كيف نغسّل رسول الله ﷺ ؟ أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا ؟ أو نغسله فى ثيابه ؟ قالت فأرسل الله عليهم النوم ، حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائماً . ثم قال قائل لا يدرى من هو : غسّلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه . فانتبهوا ففعلوا ذلك . فغسل رسول لله ﷺ فى قميصه . حتى إذا فرغوا من غسله كفن . وقال عليّ كرم الله وجهه : أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه ، فأقررناه ، فغسلْناه فى قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ، ما نشاء أن يُقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه ، وإن معنا لحفيفا فى البيت كالريح الرُّخاء ، ويصوت بنا ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستُكْفَوْن[١٧٨] .

---

(١٧٧) الزمر : ٣٠ .

(١٧٨) ستكفون : سنقوم بما فيه الكفاية بالنيابة عنكم .

فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ، ولم يترك سبدا ولا لبدا[١٧٩] إلا دفن معه . قال[١٨٠] أبو جعفر : فرش لحده بمفرشه وقطيفته ، وفرشت ثيابه عليها التى كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها فى أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ، ولا بنى فى حياته لبنة على لبنة ، ولا وضع قصبة على قصبة . ففى وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة .

(١٧٩) السَّبد : القليل من الشعر واللبد : الصوف . ويقولون ماله سبد ولا لبد . يقال لمن لا شيء له .

(١٨٠) حديث أبى جعفر فرش لحده بمفرشة وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى فى حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة أما وضع المفرشة والقطيفة فالذى وضع القطيفة شقران مولى رسول الله ﷺ وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك ما لا فقد ورد فيه حديث من عائشة وغيرها وأما كونه ما بنى فى حياته فتقدم فى هامش (٩٩)

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه

حال السيدة عائشة عند وفاة أبيها رضى الله عنه

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، جاءت عائشة رضى الله عنها ، فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر[١٨١]

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذا ولكن قولى ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾[١٨٢] انظروا ثوبيّ هذين ، فاغسلوهما وكفنونى فيهما ، فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت . وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصْمة للأرامل[١٨٣]

فقال أبو بكر : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودخلوا عليه فقالوا:ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك ؟ قال:نظر إليّ طبيبى ، وقال:إنى فعال لما أريد .

---

(١٨١) البيت لحاتم طىء فى ديوانه ١١٨ .

(١٨٢) ق : ١٩ .

(١٨٣) البيت لأبى طالب .

ودخل عليه سلمان الفارسى رضي الله تعالى عنه يعوده ، فقال يا أبابكر ، أوصنا . فقال إن الله فاتح عليكم الدنيا ، فلا تأخذن منها إلا بلاغك واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله ، فلا تحقرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك .

استخلافه لعمر رضى الله عنهما وتوصيته له

ولما ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، وأراد الناس منه أن يستخلف ، فاستخلف عمر رضي الله عنه ، فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا ، فماذا تقول لربك ؟ فقال أقول : استخلفت على خلقك خير خلقك . ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه . فجاء فقال : إنى موصيك بوصية ، اعلم أن لله حقا فى النهار لا يقبله فى الليل . وأن لله حقا فى الليل لا يقبله فى النهار ، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحقٌ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل . وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفّته عليهم ، وحق للميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف . وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم . فيقول القائل أنا دون هؤلاء ، ولا أبلغ مبلغ هؤلاء . فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ، ورد عليهم صالح الذى عملوا ، فيقول القائل : أنا أفضل من هؤلاء . وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغبا راهبا ، ولا يلقى بيديه إلى التهلكة ، ولا يتمنى على الله غير الحق . فإن حفظت وصيتى هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولابدّلك منه . وإن ضيعت وصيتى فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بدّلك منه ، ولست بمعجزه .

وقال سعيد بن المسيب : لما احتُضِرَ أبو بكر[١٨٤] رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة ، فقالوا ياخليفة رسول الله ﷺ زودنا ، فإنا نراك لما بك . فقال أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات ، جعل الله روحه فى الأفق المبين . قالوا وما الأفق المبين ؟ قال قاع بين يدي العرش ، فيه رياض الله ، وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة رحمة . فمن قال هذا القول جعل الله روحه فى هذا المكان . « اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ، ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم ، وفريقا للسعير . فاجعلنى للنعيم ، ولا تجعلنى للسعير . اللهم إنك خلقت الخلق فِرَقاً ، وميزتهم قبل أن تخلقهم ، فجعلت منهم شقيا وسعيدا ، وغَوِيّاً ورشيدا ، فلا تُشْقِنى بمعاصيك . اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها ، فلا محيصَ لها مما علمت فاجعلنى ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربنى إليك . اللهم إنك قد قدّرت حركاتِ العباد ، فلا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتى فى تقواك . اللهم إنك خلقت الخير والشرَّ ، وجعلت لكل واحد منهما عاملا يعمل به ، فاجعلنى من خير القسمين . اللهم إنك خلقت الجنةَ والنار ، وجعلت لكل واحدة منهما أهلا ، فاجعلنى من سكان جنتك . اللهم إنك أردت بقومٍ الضلالَ ، وضيَّقت به صدورهم ، فاشرح صدرى للايمان وزيّنه فى قلبى . اللهم إنك دَبَّرت الأمور ، وجعلت مصيرها إليك ، فأحْيِنى بعد الموت حياةً طيبةً ، وقربنى إليك زلفى . اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتى ورجائى ولا حول ولا قوة إلا بالله . قال أبو بكر هذا كله فى كتاب الله عز وجل .

---

(١٨٤) احْتُضِر : حضرته الوفاة .

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

قال عمرو بن ميمون : كنت قائما غداة أصيب عمر ، ما بينى وبينه إلا عبد الله بن عباس وكان إذا مرّ بين الصفين قام بينهما ، فإذا رأى خللا قال استووا ، حتى إذا لم يرفيهم خللا تقدم فكبر . قال وربما قرأ سورة يوسف ، أو النحل أو نحو ذلك فى الركعة الأولى حتى يجتمع الناس . فما هو إلا أن كبر ، فسمعته يقول : قتلنى أو أكلنى الكلب ، حين طعنه أبو لؤلؤة . وطال العِلْج[١٨٥] بسكين ذات طرفين ، لا يمر على أحد يمينا أو شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا . فمات منهم تسعة . وفى رواية سبعة . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه بُرنَسا . فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه . وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدّمه . فأما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيت . وأما نواحى المسجد ما يدرون ما الأمر ، غير أنهم فقدوا صوت عمر ، وهم يقولون سبحان الله سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن العباس ، انظر من قتلنى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة بن شعبة . فقال عمر رضي الله عنه ، قاتله الله ، لقد كنت أمرت به معروفا . ثم قال : الحمد لله الذى لم يجعل منيّتى بيد رجل مسلم . قد

---

(١٨٥) العِلْج : بكسر العين وسكون اللام : الرجل الضخم من كفار العجم وبعضهم يسمى كل كافر : عِلْجًا .

كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة . وكان العباس أكثرهم رقيقا . فقال ابن عباس : إن شئت فعلت . أى إن شئت قتلناهم . قال بعد ما تكلموا بلسانكم ، وصلوا إلى قبلتكم ، وحجوا حجكم . فاحتمل إلى بيته ، فانطلقنا معه .

حال الصحابة عند وفاته رضى الله عنه

قال وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ . قال فقائل يقول أخاف عليه : وقائل يقول لا بأس فأتى بنبيذ فشرب[١٨٦] منه ، فخرج من جوفه ، ثم أتي بلبن فشرب منه ، فخرج من جوفه ، فعرفوا أنه ميت . قال : فدخلنا عليه ، وجاء الناس يثنون عليه ، وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل ، قد كان لك صحبة من رسول الله ﷺ ، وَقدم فى الإسلام[١٨٧] ما قد علمت ، ثم ولّيت فعدلت ، ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لا علي ولا لى . فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمسّ الأرض ، فقال ردوا علي الغلام . فقال يابن أخى ، ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك . وأتقى لربك ، ثم قال : يا عبد الله انظر ما عليّ من الدين . فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه . فقال إن وفّى به مال آل عمر فأدّه من أموالهم ، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب ، فإن لم تَفِ أموالهم فسل فى قريش ، ولا تعدهم إلى غيرهم وأدِّ عنى هذا المال . انطلِق إلى أم المؤمنين عائشة . فقل عمر يقرأ عليك السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين . فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا . وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن

---

(١٨٦) النبيذ : شراب من التمر غير مسكر ، لأنه ينبذ فى الماء . كما نفعل نحن فى رمضان .

(١٨٧) أى تقدم وسابقة على غيرك .

يدفن مع صاحبيه . فذهب عبد الله فسلم وأستأذن ، ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه . فقالت كنت أريدُه لنفسى ، ولأوثرنه اليوم على نفسى[١٨٨] . فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء . فقال : ارفعونى ، فأسنده رجل إليه ، فقال مالديك ؟ قال الذى تحب يا أمير المؤمنين ، قد أذنت . قال : الحمد لله ، ما كان شيء أهم إليّ من ذلك ، فإذا أنا قبضت فاحملونى ، ثم سلِّم وقل : يستأذن عمر . فإن أذنت لى فأدخلونى ، وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين .

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها ، فلما رأيناها قمنا ، فولجت عليه ، فبكت عنده ساعة ، واستأذن الرجال ، فولجت داخلا ، فسمعنا بكاءها من داخل . فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض . فسمى علياً ، وعثمان ، والزبير ، وطلحة ، وسعدا ، وعبد الرحمن . وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، كهيئة التعزية له . فإن أصابت الإمارة سعدا فذاك ، وإلا فليستعن به أيكم أمّر ، فإنى لم أعْزِله من عجز ولا خيانة . وقال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يُعَرَف لهم فضلُهم ، ويُحفَظَ لهم حرمتهُم . وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم ، أن يقبل من مُحسِنهم ، وأن يعفوَ عن مُسيئهم . وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فإنهم رِدْء[١٨٩] الإسلام ، وجُباة الأموال ، وغيظ العدوّ ، وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضا

---

(١٨٨) لأوثرنه : لأفضلنه على نفسى.

(١٨٩) الرِّدء : العون .

منهم . وأوصيه بالأعراب خيرا ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، وأن يأخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم . وأوصيه بذمة الله عز وجل ، وذمة رسول الله ﷺ ، أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل لهم من ورائهم ، ولا يكلفهم إلا طاقتهم .

قال فلما قبض خرجنا به ، فانطلقنا نمشى ، فسلم عبد الله بن عمر وقال : يستأذن عمر بن الخطاب . فقالت أدخلوه . فأدخلوه فى موضع هنا لك مع صاحبيه الحديث .

وعن النبى ﷺ قال[١٩٠] « **قال جبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْبكِ الإِسْلَامُ عَلَى مَوْتِ عُمَرَ** » . وعن ابن عباس قال :[١٩١] وضع عمر على سريره ، فتكنّفه الناس[١٩٢] يدعون ويصلون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبى ، فالتفت فإذا هو علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فترحم على عمر وقال : ما خلقت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك . وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك ، وذلك أنى كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول « **ذَهَبْتُ أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَخَرَجْتُ أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** » فإنى كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما .

---

(١٩٠) حديث قال لى جبريل عليه السلام ليبك الإسلام على موت عمر : أبو بكر الآجرى فى كتاب الشريعة من حديث أبى بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .

(١٩١) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكنفه الناس يدعون ويصلون فذكر قول على بن أبى طالب كنت كثيراً أسمع النبى ﷺ يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر — الحديث : متفق عليه .

(١٩٢) تكنفه الناس : أحاطوا به .

وفاة عثمان رضى الله عنه

الحديث فى قتله مشهور ، وقد قال عبد الله بن سلام : أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله ﷺ الليلة فى هذه الخوخة[١٩٣] ، وهى خوخة فى البيت فقال ياعثمان ، حصروك . قلت نعم . قال عطشوك ، قلت نعم . فأدلى إلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت ، حتى أنى لأجد برده بين ثديى وبين كتفى ، وقال لى . إن شئت نُصِرْت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده . فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه .

وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط[١٩٤] عثمان فى الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتشحط ؟ قالوا سمعناه يقول : اللهم أجمع أمة محمد ﷺ ثلاثا . قال والذى نفسى بيده ، لودعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة .

محاجته للثائرين عليه

وعن[١٩٥] ثمامة بن حزن القشيرى قال : شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه ، فقال ائتونى بصاحبيكم اللذين ألباكم عليّ .

---

(١٩٣) الخَوْخة : كُوَّةٌ فى البيت (فتحة) تؤدى إليه الضوء .

(١٩٤) تشحَّطَ بالدم:تضرج به واضطرب فيه .

(١٩٥) حديث ثمامة بن حزن القشيرى شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان – الحديث : الترمذى وقال حسن والنسائى .

قال فجىء بهما كأنما هما جملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال : أنشدكم بالله والإسلام ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة . فقال « **مَنْ يَشْتَرِى رُومَةَ يَجْعَلْ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِى الْجَنَّةِ** » فاشتريتها من صلب مالى ، فأنتم اليوم تمنعونى أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم . قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أنى جهزت جيش العسرة من مالى ؟ قالوا نعم . قال أنشدكم الله والإسلام ، هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله . فقال رسول ﷺ « **مَنْ يَشْتَرِى بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِى الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِى الْجَنَّةِ** » فاشتريتها من صلب مالى ، فأنتم اليوم تمنعونى أن أصلي فيها ركعتين ؟ قالوا اللهم نعم . قال أنشدكم الله والإسلام ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بمكّة : ومعه أبو بكر وعمر وأنا ، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال « **اسْكُنْ ثَبِيرُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِىٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ** » قالوا اللهم نعم . قال الله أكبر شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد .

وروي عن شيخ من ضبّة ، أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى أستعديك عليهم ، وأستعينك على جميع أمورى . وأسألك الصبر على ما ابتليتنى .

وفاة علي كرم الله وجهه

قال الأصبغ الحنظلى : لما كانت الليلة التى أصيب فيها عليّ كرم الله وجهه أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة ، وهو مضطجع متثاقل ، فعاد الثانية وهو كذلك ، ثم عاد الثالثة ، فقام عليّ يمشى وهو يقول :

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا فيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فلما بلغ الباب الصغير ، شد عليه ابن ملجم فضربه . فخرجت أم كلثوم ابنة عليّ رضي الله عنه ، فجعلت تقول : مالى ولصلاة الغداة ، قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة الغداة ، وقتل أبى صلاة الغداة ، وعن شيخ من قريش ، أن عليًّا كرم الله وجهه . لما ضربه ابن ملجم ، قال فزتُ ورب الكعبة ، وعن محمد بن علي ، أنه لما ضرب أوصى بنيه ، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض .

وفاة الحسن رضى الله عنه

ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما ، دخل عليه الحسين رضي الله عنه ، فقال يا أخى لأي شيء تجزع ؟ تقدُم على رسول الله ﷺ ، وعلى عليّ بن أبى طالب ، وهما أبواك ، وعلى خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وهما أماك ، وعلى حمزة وجعفر ، وهما عماك . قال يا أخى ، أقدم على أمر لم أقدم على مثله .

وفاة الحسين رضى الله عنه

وعن محمد بن الحسن رضى الله عنهما قال : لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه ، وأيقن أنهم قاتلوه . قام فى أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قد نزل من الأمر ما ترون . وإن الدنيا قد تغيرت ، وتنكرت ، وأدبر معروفها ، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء . ألا حسبى من عيش كالمرعى الوبيل . ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى ، وإنى لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا جرما .

الباب الخامِسُ

عن كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

- ماذا قال معاوية عند وفاته ؟
- ماذا قال عبد الملك بن مروان عند وفاته ؟
- ماذا قال عمر بن عبد العزيز عند وفاته ؟
- ماذا قال كل من :

[هارون الرشيد – المأمون – المعتصم – المنتصر – عمرو بن العاص – الحجاج ؟] .

- بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف .

ماذا قال معاوية عند وفاته ؟

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال : أقعدونى . فأقعد ، فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ، ثم بكى وقال : تذكر ربَّكَ يامعاوية بعد الهرم والانحطاط ، ألا كان هذا وغصنُ الشَّبابِ نَضِرٌ رَيَّانِ ! وبكى حتى علا بكاؤه وقال : يارب ارحم الشيخ العاصى ، ذا القلب القاسى . اللهم أقِلْ العَثْرة[١٩٦] ، واغفر الزلة ، وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ، ولم يثق بأحد سواك .

وروي عن شيخ من قريش ، أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه ، فرأوا فى جلده غُضُونًا . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا ؟ وأما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا ، وباستلذاذنا بعيشنا ، فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذاك منا حالا بعد حال ، وعروة بعد عروة ، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا[١٩٧] وأخلقتنا[١٩٨] ، واستلأمت إلينا . أف للدنيا من دار ، ثم أف لها من دار .

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس ، إنى من زرع قد استحصد ، وإنى قد وليتكم ، ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر منى ، كما كان من قبلى خيرا منى . ويايزيد ، اذا وفى أجلى

---

(١٩٦) أقال عثرته : أخذ بيده .

(١٩٧) وتره : أصابه بظلم أو مكروه .

(١٩٨) أصبح كل منا كالثوب الخلق البالى القديم بعد جدته وشبابه .

فولّ غسلى رجلا لبيبا ، فإن اللبيب من الله بمكان ، فلينعم الغسل ، وليجهر بالتكبير . ثم اعمد إلى منديل فى الخزانة فيه ثوب من ثياب النبى ﷺ ، وقراضة من شعره وأظفاره ، فاستودع القراضة أنفى ، وفمى ، وأذنى ، وعينى ، واجعل الثوب على جلدى دون أكفانى . ويايزيد ، احفظ وصية الله فى الوالدين ، فإذا أدرجتمونى فى جديدى ، ووضعتمونى فى حفرتى ، فخلوا معاوية وأرحم الراحمين .

وقال محمد بن عقبة : لما نزل بمعاوية الموت قال : ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى ، وأنى لم أَلِ من هذا الأمر شيئا .

ماذا قال عبد الملك بن مروان عند وفاته ؟

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة ، نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ، ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك : ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ، ولم أَلِ من أمر الدنيا شيئا . فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه . وقيل لعبد الملك بن مرْوان فى مرضه الذى مات فيه . كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدنى كما قال الله تعالى ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ**(١٩٩) ﴾ الآية ، ومات .

---

(١٩٩) الأنعام : ٩٤ .

كلمة عمر بن عبد العزيز

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، امرأة عمر بن عبد العزيز . كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار . فلما كان اليوم الذى قبض فيه ، خرجتُ من عنده ، فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب ، وهو فى قبّة له فسمعته يقول ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**[٢٠٠] ﴾ ثم هدأ ، فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما ، فقلت لوصيف له . انظر أنائِمٌ هُوَ ؟ فلما دخل صاح ، فوثبت فإذا هو ميت وقيل لما حضره الموت : اعْهد يا أمير المؤمنين ؟ قال أحذركم مثل مصرعى هذا ، فإنه لابد لكم منه .

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب . فلما نظر إليه قال : أرى الرجل قد سقى السم . ولا آمن عليه الموت . فرفع عمر بصره وقال . ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السم .. قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال فتعالج يا أمير المؤمنين ، فإنى أخاف أن تذهب نفسك . قال ربى خير مذهوب إليه . والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى[٢٠١] ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته .. اللهم خِرْ لعمر[٢٠٢] فى لقائك . فلم يلبث إلا أياما حتى مات .

---

(٢٠٠) القصص : ٨٣ .

(٢٠١) شحمة الأذن: مالان من أسفلها وهو ما يعلق فيه القُرط (الحلق) والمقصود لو كان الشفاء قريبا منى ما طلبته لأنى أحب أن ألقى الله .

(٢٠٢) خِر : أمر . للدعاء ؛ فهو يطلب من ربه أن يختار له ما هو أحب إليه .

وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا ، وأظهر بك عدلا . فبكى ثم قال : أليس أُوقَف فأسأل عن أمر هذا الخلق ؟ فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله ، إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا ، وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات !!

ولما قرب وقت موته قال : أجلسونى . فأجلسوه فقال أنا الذى أمرتنى فقصّرت ، ونهيتنى فعصيت ؟ ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله . ثم رفع رأسه فأحدّ النظر ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن . ثم قبض رحمه الله .

ماذا قال هارون الرشيد ؟

وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت ، وكان ينظر إليها ويقول ﴿ **مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ**[٢٠٣] ﴾ .

ماذا قال المأمون ؟

وفرش المأمون رمادا واضطجع عليه ، وكان يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه !!

ماذا قال المعتصم ؟

وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت أن عمرى هكذا قصير ما فعلت !

---

(٢٠٣) الحاقة ٢٨ ، ٢٩

ماذا قال المنتصر ؟

وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته ، فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين . فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة .

ماذا قال عمرو بن العاص ؟

وقال عمرو بن العاص عند الوفاة ، وقد نظر إلى صناديق لبنيه . من يأخذها بما فيها ليته كان بعرا !!

ماذا قال الحجاج ؟

وقال الحجاج عند موته : اللهم اغفر لى ، فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لى . فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ، ويغبطه عليها ، ولما حكي ذلك للحسن قال : أقالها ؟ قيل نعم . قال عسى .

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين

ماذا قال معاذ ؟

لما حضر معاذا رضي الله عنه الوفاة قال . اللهم إنى قد كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك،اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا طول البقاء فيها لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر . ولما اشتد به النزع ، ونزع نزعا لم ينزعه أحد ، كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال : رب ما أحنقنى حنقك ، فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك .

ماذا قال سلمان ؟

ولما[٢٠٤] حضرت سلمان الوفاة بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال ما أبكى جزعا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون

---

(٢٠٤) حديث لما حضرت سلمان الوفاة بكى وفيه عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب : أحمد والحاكم وصححه.

بُلغة[٢٠٥] أحدنا من الدنيا كزاد الراكب . فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما .

ماذا قال بلال ؟

ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته : واحزناه . فقال : واطرباه ، غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه .

ماذا قال ابن المبارك

وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ[٢٠٦] ﴾

ماذا قال النخعى ؟

ولما حضر ابراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك ؟ قال : أنتظر من الله رسولا يبشرنى بالجنة أو بالنار .

ماذا قال ابن المنكدر ؟

ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكى لذنب ، أعلم أنى أتيته . ولكن أخاف أنى أتيت شيئا حسبته هيّنا وهو عند الله عظيم .

---

(٢٠٥) البُلْغَة : بضم الباء ما يكفى من العيش دون زيادة .

(٢٠٦) الصافات : ٦١ .

ماذا قال عامر بن عبد القيس ؟

ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال ما أبكى جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا . ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر ، وعلى قيام الليل فى الشتاء .

ماذا قال الفضيل ؟

ولما حضرت فضيلا الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال . وابُعْدَ سفراه واقلة زاداه !! .

ماذا قال ابن المبارك ؟

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه : اجعل رأسى على التراب ، فبكى نصر فقال له ما يبكيك ؟ قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم ، وأنت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت ، فإنى سألت الله تعالى أن يحيينى حياة الأغنياء ، وأن يميتنى موت الفقراء . ثم قال له : لَقِّنّى ، ولا تعد علىّ مالم أتكلم بكلام ثان .

ماذا قال عطاء بن يسار ؟

وقال عطاء بن يسار : تبدّى إبليس لرجل عند الموت ، فقال له نجوت فقال ما آمنك بعد .

وبكى بعضهم عند الموت ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال آية فى كتاب الله تعالى ، قوله عز وجل ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**(٢٠٧) ﴾ .

(٢٠٧) المائدة : ٢٧ .

ودخل الحسن رضى الله عنه على رجل يجود[٢٠٨] بنفسه فقال : إن امرأ هذا أوله لجدير أن يتقى آخره ، وإن أمرأ هذا آخره لجدير أن يُزْهَدَ فى أوله .

ماذا قال الجنيد ؟

وقال الجريرى : كنت عند الجنيد فى حال نزعه ، وكان يوم الجمعة ويوم النيروز[٢٠٩] وهو يقرأ القرآن ، فختم فقلت له فى هذه الحالة يا أبا القاسم ؟ فقال ومن أولى بذلك منى ، وهو ذا تطوى صحيفتى ؟ !!

ماذا قال أبو سعيد الخراز ؟

وقال رويم : حضرتُ وفاة أبى سعيد الخراز وهو يقول :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنايا عليهم
فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السكر
هموم جوالة بمعسكر
به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه
وأرواحهم فى الحجب نحو العلا تسرى
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم
وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

---

(٢٠٨) يموت وفى حالة خروج الروح .

(٢٠٩) النيروز : أول السنة الشمسية عند الفرس .

قالـــوا ...

● وقيل للجنيد . إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد[٢١٠] عند الموت . فقال لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقا .

وقيل لذى النون عند موته ماتشتهى ؟ قال أن أعرفه قبل موتى بلحظة .

● وقيل لبعضهم وهو فى النزع . قل الله . فقال إلى متى تقولون الله ، وأنا محترق بالله .

● وقال بعضهم . كنت عند ممشاد الدينورى ، فقدم فقير وقال . السلام عليكم ، هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه ؟ قال فأشاروا إليه بمكان ، وكان ثمّ عين ماء ، فجدد الفقير الوضوء ، وركع ماشاء الله ، ومضى إلى ذلك المكان ، ومدّ رجليه ، ومات .

● وكان أبو العباس الدينورى يتكلم فى مجلسه ، فصاحت امرأة تواجدا ، فقال لها موتى فقامت المرأة ، فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت .. قد متّ . ووقعت ميتة .

● ويحكى عن فاطمة أخت أبى على الروزبارى قالت . لما قرب أجل أبى علي الروزبارى وكان رأسه فى حجرى ، فتح عينيه وقال : هذه أبواب السماء قد فتحت ، وهذه الجنان قد زينت ، وهذا قائل يقول . يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى ، وإن لم تردها . ثم أنشأ يقول :

---

(٢١٠) تواجد : أرى من نفسه الوجْدَ أى الفرح أو المحبة .

وحقك لا نظرت إلى سواكا بعين مودّة حتـــــى أراكا
أراك معــذبى بفتـــور لحظ وبــالخد المورد من حيـــاكا

● وقيل للجنيد قل لا إله إلا الله . فقال ما نسيته فأذكره .

● وسأل جعفر بن نصير بكران الدينورى خادم الشبلى ، ما الذى رأيت منه ؟ فقال : قال عليّ درهم مظلمة ، وتصدقت عن صاحبه بألوف ، فما على قلبى شغل أعظم منه ، ثم قال : وضئنى للصلاة ، ففعلت ، فنسيت تخليل لحيته ، وقد أمسك على لسانه ، فقبض على يدى وأدخلها فى لحيته ، ثم مات . فبكى جعفر وقال : ما تقولون فى رجل لم يفته فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة .

كلمة بشر بن الحارث

وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر : وكان يشق عليه : كأنك تحب الحياة ؟ فقال : القدوم على الله شديد .

● وقيل لصالح بن مسمار : ألا توصى بابنك وعيالك ؟ فقال إنى لأستحي من الله أن أوصى بهم إلى غيره . ولما احتضر أبو سليمان الدارانى ، أتاه أصحابه فقالوا : أبشر فإنك تقدُم على رب غفور رحيم ، فقال لهم : ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ، ويعاقبك بالكبير . ولما احتضر أبو بكر الواسطى قيل له : أوصنا فقال احفظوا مراد الحق فيكم . واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك ؟ فقالت عليك أبكى فقال : إن كنت باكية فابكى على نفسك ، فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة !!

كلمة سري السقطى

وقال الجنيد : دخلت على سري السقطى أعوده فى مرض موته ، فقلت كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى ... والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروّحه فقال : كيف يجد ريح المروحة مَن جوفهُ يحترق ! ثم أنشأ يقول :

القلب محترق ، والدمع مستبق ... والكرب مجتمع ، والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرارَ له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن يك شيء فيه لى فرج ... فامنن علىّ به ما دام بى رمق

● وحكى أن قوما من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت ، فقالوا له : قل لا إله إلا الله . فأنشأ يقول :

إن بيتا أنت ساكنـــه ... غير محتاج إلى السرج[٢١١]
وجهك المأمول حجتنـــا ... يوم يأتى الناس بالحجج
لا أتاح الله لى فرجا ... يوم أدعو منك بالفرج

● وحكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه ، فسلم عليه فلم يجبه ، ثم أجاب بعد ساعة وقال : اعذرنى فإنى كنت فى وردى . ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات .

● وقيل للكتانى لما حضرته الوفاة ما كان عملك ؟ فقال لو لم

---

(٢١١) السرج : جمع سراج . وهو ما يضيء ، إناء يجعل فيه زيت أو نحوه فيصعد فى فتيلة ويتحلل إلى مواد مشتعلة فى طرفها عندما تمسه النار فيستضاء به .

يقرب أجلى ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبى أربعين سنة ، فكلما مرّ فيه غير الله حجبته عنه .

● وحكى عن المعتمر قال . كنت فيمن حضر الحكَم بن عبد الملك حين جاءه الحق ، فقلت اللهم هوّن عليه سكرات الموت فإنه كان وكان ، فذكرت محاسنه ، فأفاق فقال : مَن المتكلم ؟ فقلت أنا . فقال إن ملك الموت عليه السلام يقول لى . إنى بكل سخى[٢١٢] رفيق ، ثم طفىء .

● ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة ، شهده حذيفة فوجده قلقا فقال : يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع ؟ فقال يا أبا عبد الله ، وكيف لا أقلق ولا أجزع وإنى لا أعلم أنى صدقت الله فى شىء من عملى ! فقال حذيفة ، واعجباه لهذا الرجل الصالح ، يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله فى شىء من عمله ..

● وعن المغازلى قال . دخلت على شيخ لى من أصحاب هذه الصفّة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد ، فارفق بى . ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينورى فى وقت وفاته فقال له فعلَ الله تعالى وصَنع من باب الدعاء ، فضحك ثم قال . منذ ثلاثين سنة تعرض علىّ الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى !!

● وقيل لرويم عند الموت . قل لا إلهَ إلا الله . فقال لا أحسن غيره !!

● ولما حضر الثورى الوفاة قيل له . قل لا إله إلا الله . فقال أليس ثمَّ أمر .

---

(٢١٢) السخاء : الكرم والجود .

كلمة الشافعى رضى الله عنه

ودخل المزنى على الشافعي رحمه الله عليهما فى مرضه الذى توفي فيه ، فقال له . كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال أصبحت من الدنيا راحلا ، وللإخوان مفارقا ، ولسوء عملى ملاقيا ، ولكأس المنية شاربا ، وعلى الله تعالى واردا ، ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها ، أم إلى النار فأعزيها . ثم أنشأ يقول :

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت رجائى نحو عفوك سلّما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منّة وتكرما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما

● ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة ، سئل عن مسألة . فدمعت عيناه وقال يابنى ، باب كنت أدقّه خمسا وتسعين سنة ، هو ذا يفتح الساعة لى ، لا أدرى أيفتح بالسعادة أو الشقاوة ، فأنّى لى أوان الجواب . فهذه أقاويلهم . وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف . وعلى بعضهم الرجاء ، وعلى بعضهم الشوق والحب ، فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالاضافة إلى أحوالهم .

الباب السادِسُ
أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
• ماذا قال العارفون عند شهود الجنائز ؟!
• بيان حال القبور وأقاويلهم عند القبور .
• بيان أقاويلهم عند موت الولد .
• بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به .

خوفهم من الموت !!

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة ، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة ، لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يُحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ، ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون ، فبطل حسبانهم ، وانقرض على القرب زمانهم . فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدّر نفسه محمولا عليها . فإنه محمول عليها على القرب ، وكأن قد[٢١٣] ، ولعله فى غد أو بعد غد .

كلمة أبى هريرة

ويروى عن أبى هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال . امضوا فإنّا على[٢١٤] الأثر .

وكان مكحول الدمشقى إذا رأى جنازة قال . اغدوا فإنا رائحون ،[٢١٥] ، موعظة بليغة وغفلة سريعة ، يذهب الأوّل والآخرُ لا عقل له .

---

(٢١٣) أى وكأنه قد حمل عليها .

(٢١٤) مثل أنتم السابقون ونحن اللاحقون .

(٢١٥) الغدو الذهاب ، والرواح العودة .

وقال أسيد بن حضير . ما شهدت جنازة فحدثتنى نفسى بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه .

ولما مات أخو مالك بن دينار . خرج مالك فى جنازته يبكى ويقول : والله لا تقرّ عَيْنى حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ، ولاَ أعلم مادمت حيا . وقال الأعمش . كنا نشهد الجنائز فلا ندرى من نعزّى لحزن الجميع .

وقال ثابت البنانى . كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً(*) باكياً .

فهكذا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وَأكثرهم يضحكون ويلهون ، ولا يتكلمون إلا فى ميراثه وما خلّفه لورثته ، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا فى الحيلة التى بها يتناول بعض ما خلفه . ولا يتفكر واحد منهم إلا ماشاء الله فى جنازة نفسه ، وفى حاله إذا حمل عليها . ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصى والذنوب ، حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر ، والأهوال التى بين أيدينا ، فصرنا نلهو ، ونغفل ، ونشتغل بما لا يعنينا . فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة ، فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت .

نظر ابراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت ، فقال لو ترحّمون على أنفسكم لكان خيرا لكم ، إنه نجا من أهوال ثلاثة : وجه ملك الموت وقد رأى . ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة وقد أمن .

---

* مستغشياً بثوب خائفاً حزيناً .

وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا ، فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتنى والله هذه الجنائز . وأنشأ يقول :

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات[٢١٦]

آداب حضور الجنازة

● فمن اداب حضور الجنائز التفكر والتنبه ، والاستعداد ، والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا آدابه وسنته فى فن الفقه .

● ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لا تدرى حقيقتها . ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه ، وكان مسرفا على نفسه ، فتجافى كثير من الناس عن جنازته ، فحضرها هو وصلى عليها ، فلما دلى فى قبره وقف على قبره وقال : يرحمك الله ياأبا فلان ، فلقد صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفّرت وجهك بالسجود . وإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا ؟ .

ويحكى أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى بعض نواحى البصرة ، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته ، إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين ، وحملتها إلى المصلى ، فما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من

---

(٢١٦) الثلة : (بالفتح) جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمى بمعنى الإغارة .

الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأته كالمنتظر للجنازة ، ثم قصد أن يصلى عليها ، فانتشر الخبر فى البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد ، فصلى الزاهد وصلوا عليه ، وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه ، فقال قيل لى فى المنام انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلّ عليه فإنه مغفور له . فزاد تعجب الناس ، فاستدعى الزاهد امرأته ، وسألها عن حاله ، وأنه كيف كانت سيرته . قالت كما عُرف ، كان طول نهاره فى الماخور[٢١٧] مشغولا بشرب الخمر . فقال انظرى هل تعرفين منه شيئا من أعمال الخير ؟ قالت نعم ، ثلاثة أشياء . كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ، ويتوضأ ويصلى الصبح فى جماعة ، ثم يعود إلى الماخور ، ويشتغل بالفسق والثانى أنه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين ، وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده ، وكان شديد التفقد لهم . والثالث أنه كان يفيق فى أثناء سكره فى ظلام الليل فيبكى ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ؟ يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره .

وعن صلة بن أشيم ، وقد دُفِنَ أخ له ، فقال على قبره :

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى لا أخالِكَ ناجيا[٢١٨]

(٢١٧) الماخور : مكان بيع الخمر وتعاطيه .

(٢١٨) لا أخالُك ناجيا : لا أظنك ناجيا .

بيان حال القبر وأقاوليهم عند القبور

قال الضحاك[٢١٩] : قال رجل يارسول الله من أزهد الناس ؟ قال « **مَنْ لَمْ يَنْسَ الْقَبْرَ وَالْبِلَى وَتَرَكَ فَضْلَ زِينَةِ الدُّنْيَا وَآثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى وَلَمْ يَعُدَّ غَدَاً مِنْ أَيَّامِهِ وَعَدَّ نَفْسَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ** » . وقيل لعلي كرم الله وجهه : ما شأنك جاورت المقبرة ؟ قال إني أجدهم خير جيران ، إني أجدهم جيران صدق ، يكفون الألسنة ، ويذكرون الآخرة .

وقال رسول الله ﷺ[٢٢٠] « **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ** » .

وقال[٢٢١] ابن الخطاب رضي الله عنه . خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المقابر ، فجلس إلى قبر ، وكنت أدنى القوم منه ، فبكى وبكيت وبكوا ، فقال « **مَا يُبْكِيكُمْ ؟** » قلنا بكينا لبكائك قال « **هَذَا قَبْرُ أُمِّي آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي زِيَارَتِهَا فَأَذِنَ لِي فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَأَبَى عَلَيَّ فَأَدْرَكَنِي مَا يُدْرِكُ الْوَلَدُ مِنَ الرِّقَّةِ** »

(٢١٩) حديث الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبور والبلى ــ الحديث : رواه ابن أبي الدنيا مرسلا .

(٢٢٠) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه : رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .

(٢٢١) حديث عمر خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المقابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم ــ الحديث : وفيه هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي ــ الحديث : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أيوب بن هانيء ضعفه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

وكان[٢٢٢] عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فسئل عن ذلك وقيل له . تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتبكى إذا وقفت على قبر ! فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ صَاحِبُهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَما بَعْدَهُ أَشَدُّ** » .

● وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة ، فنزل وصلى ركعتين ، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه ! فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه ، فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما .

● وقال مجاهد : أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول . أنا بيت الدود وبيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الظلمة . هذا ما أعددت لك ، فما أعددت لى ؟

● وقال أبو ذر : ألا أخبركم بيوم فقرى ؟ يوم أوضع فى قبرى .

● وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور ، فقيل له فى ذلك فقال أجلس إلى قوم يذكّرونى معادى ، وإذا قمت لم يغتابونى .

صفة القبر

● وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول . يا أهل القبور مالى إذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول : حيل والله بينهم وبين جوابى ، وكأنى بى أكون مثلهم ، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر .

---

(٢٢٢) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته وفيه أن القبر أول منازل الآخرة : الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يافلان ، لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع تغير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه .

وكان يزيد الرقاشىّ يقول : أيها المقبور فى حفرته ، والمتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى إخوانك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ثم يقول : استبشر والله بأعماله الصالحة ، واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى . وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور .

● وقال حاتم الأصم : من مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدعُ لهم ، فقد خان نفسه وخانهم .

● وكان بكر العابد يقول : ياأماه ، ليتك كنت بى عقيما ، إن لابنك فى القبر حبسا طويلا ، ومن بعد ذلك منه رحيلا .

وقال يحيى ابن معاذ : ابن آدم ، دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه . إن أجبته من دنياك ، واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها .

وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهى فى بواطنك .

وكان عطاء السلمى إذا جنّ عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول : يا أهل القبور ، متّم فواموتاه ، وعاينتم أعمالكم فواعملاه . ثم يقول :

غدا عطاء فى القبور ، غدا عطاء فى القبور . فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح .

وقال سفيان : من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار .

وكان الربيع بن خثيم قد حفر فى داره قبرا ، فكان إذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ، ثم يقول ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**[٢٢٣] ﴾ يرددها ، ثم يرد على نفسه ، ياربيع ، قد رجعتك فاعمل .

وقال أحمد بن حرب . تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ، ويسوّى فراشه للنوم فتقول : يا ابن آدم ، لم لا تذكر طول بلاك وما بينى وبينك شىء ؟

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل علي فقال : يامِيمون ، هذه قبور آبائى بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلّت بهم المثلات[٢٢٤] ، واستحكم فيهم البِلى ، وأصابت الهوام مقيلا فى أبدانهم[٢٢٥] . ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحد أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله .

وقال ثابت البنانى : دخلت المقابر ، فلما قصدت الخروج منها فإذا

---

(٢٢٣) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢٢٤) ما أصاب القرون الماضية من العذاب وهى عبر تعتبر بها مفردها مُثْلَة .

(٢٢٥) تقضى وقت القيلولة وشدة الحر داخل أجسادهم . أى أصبحت مقرا ودارًا للهوام والحشرات !! .

بصوت قائل يقول : ياثابت ، لا يغرنك صموت أهلها ، فكم من نفس مغمومة فيها .

فاطمة بنت الحسين عند وفاة زوجها

ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطّت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلّتِ

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا[٢٢٦] واعتكفت ٥١٠ سنة ، فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة ، فسمعوا صوتا من جانب البقيع : هل وجدوا ما فقدوا ؟ فسمعوا من الجانب الآخر ، بل يئسوا فانقلبوا !!

● وقال أبو موسى التميمى : توفيت امرأة الفرزدق ، فخرج فى جنازتها وجوه البصرة[*] وفيهم الحسن ، فقال له الحسن : ياأبا فراس ، ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة . فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى ... أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد ... عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى ... إلى النار مغلول القلادة أزرقا

● وقد أنشدوا فى أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... مَن منكم المغمور فى ظلماتها
ومَن المكرّم منكم فى قعرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها

(٢٢٦) فسطاطا : خيمة .

(*) المشاهير والأعلام .

أما السكونَ لذى العيون فواحد لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة يفضى إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب فى حفرة يأوى إلى حيّاتها
وعقارب تسعى إليه فروحه فى شدة التعذيب من لدغاتها

● ومرّ داود الطائى على امرأة تبكى على قبر وهي تقول :

عدمتُ الحياة ولا نلتُها إذا كنت فى القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى وأنت بيمناك قد وسَّدوكا

ثم قالت : ياابناه : ليت شعرى بأي خديك بدأ الدود ؟ فصعق داود مكانه وخرّ مغشيا عليه .

● وقال مالك بن دينار . مررت بالمقبرة فانشأتُ أقول :

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المُدِلُّ بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر

قال . فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانَوْا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات(٢٢٧) الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا أمالك فيما ترى معتبر

قال : فرجعت وأنا باكٍ .

---

(٢٢٧) الثرى : التراب المبلل بالندى . وبنات الثرى : الهوام والحشرات التى تتخذ من الجثث مسرحاً لها ومرتعاً . تغدو فيها وتروح .

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

● وجد مكتوبا على قبر :

تناجيك أجداث[٢٢٨] وَهُنَّ صُموتٌ ... وسكانها تحت التراب خُفُوتٌ
أيا جامع الدنيا لغير بَلاغِهِ ... لمن تجمع الدنيا وأنت تموت ؟!

● ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أيا غانم أما ذراك فواسع ... وقبرك مغمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره ... إذا كان فيه جسمه يتهدم

● وقال ابن السماك : مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربى جنبات قبرى ... كأن أقاربى لم يعرفونى
ذوو الميراث يقتسمون مالى ... وما يألون أن جحدوا ديونى
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا ... فيالله أسرع ما نسونى

● ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب مختلس ... لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها ... يامن يعد عليه اللفظ والنفَس
أصبحت ياغافلا فى النقص منغمسا ... وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموتُ ذا جهل لِغِرته ... ولا الذى كان منه العلم يُقتَبَس
كم أخرس الموتُ فى قبر وقفت به ... عن الجواب لسانًا ما به خَرَسُ
قد كان قصرك معمورا له شرف ... فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

---

(٢٢٨) الأجداث : القبور وما تضمه .

● ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأحبة حين صفّت قبورهم كأفراس الرِّهان
فلما أن بكيت وفاض دمعى رأت عيناى بينهم مكانى

● ووجد على قبر طبيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لى قائل قد صار لقمان إلى رمسه[٢٢٩]
فأين ما يوصف من طبّه وحذقه فى الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

● ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لى أمل قَصَّر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجلٌ أمكنه فى حياته العمل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى كل إلى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت ، والبصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم ، فيستعد للّحوق بهم ، ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يلحق بهم . ليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها ، لأنهم عرفوا قدر الأعمال ، وانكشفت لهم حقائق الأمور . فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصّر به تقصيره فيتخلص من العقاب ، وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه ، فحسرتهم على ساعة من الحياة ، وأنت قادر على تلك الساعة ، ولعلك تقدر على أمثالها ، ثم أنت مضيع لها . فوطّن نفسك

(٢٢٩) الرَّمْس : القبر .

على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار ، إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين : رأيت أخا لى فى الله فيما يرى النائم ، فقلت يافلان عشت الحمد لله رب العالمين ، قال لأن أقدر على أن أقولها . يعنى الحمد لله رب العالمين ، أحب إليّ من الدنيا ومافيها . ثم قال : ألم تر حيث كانوا يدفوننى . فإن فلانا قد قام فصلى ركعتين ، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا ومافيها .

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه ، أن ينزله فى تقدمه عليه فى الموت منزلة مالو كانا فى سفر ، فسبقه الولد إلى البلد الذى هو مستقره ووطنه ، فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب ، وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن ، إلى أن يلحق المتأخر ، وإذا اعتقد هذا قلّ جزعه وحزنه ، لا سيّما وقد ورد فى موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب ، قال رسول الله ﷺ(٢٣٠) « **لَأَنْ أُقدِّمَ سقْطا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ أُخلِّفَ مِائَةَ فَارِسٍ كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ الله** » وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى ، وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب .

وقال زيد بن أسلم : توفى ابن لداود عليه السلام ، فحزن عليه حزنا شديدا ، فقيل له : ما كان عِدله(٢٣١) عندك ؟ قال ملء الأرض ذهبا . قيل له : فإن لك من الأجر فى الآخرة مثل ذلك .

احتساب الولد جنة من النار

وقال رسول الله ﷺ(٢٣٢) « **لَا يَمُوت لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**

(٢٣٠) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل فى سبيل الله : لم أجد فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة لسقط أقدمه بين يدى أحب إلى من فارس أخلفه .

(٢٣١) العِدْل : المساوى والنظير .

(٢٣٢) حديث لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم ـــ الحديث أخرجه البخارى ومسلم والبيهقى بلفظ أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا حجاباً من النار . والجُنة : الوقاية .

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيَحْتَسِبُهُمْ إِلَّا كَانُوا لَهُ جُنَّةً مِنَ النَّارِ ، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ أو اثنان ؟ قال « **أَو اثْنَانِ** » .

وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت ، فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة ، وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال : اللهم إنى أصبحت أرجوك له ، وأخافك عليه ، فخفق رجائى وآمن خوفى . ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال : اللهم إنى قد غفرت له ما وجب لى عليه ، فاغفر له ما وجب لك عليه ، فإنك أجود وأكرم .

ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إنى قد وهبت له ما قصّر فيه من برّ . فهب له ما قصر فيه من طاعتك .

ولما مات ذر بن عمر بن ذر : قال أبوه عمر بن ذر بعد ما وضعه فى لحده فقال : ياذر ، لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك . فليت شعرى ماذا قلت وماذا قيل لك ؟ ثم قال : اللهم إن هذا ذر ، متعتنى به ما متعتنى ، ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه . اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتى ، اللهم وما وعدتنى عليه من الأجر فى مصيبتى فقد وهبت له ذلك فهب لى عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ، ثم قال عند انصرافه : ما علينا بعدك من خصاصة ياذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة ، فلقد مضينا وتركناك ، ولو أقمنا مانفعناك به .

ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال : ما رأيت مثل هذه النضارة ، وما ذاك إلا من قلة الحزن . فقالت ياعبد الله ، إنى لفى حزن ما يشركنى فيه أحد . قال فكيف ؟ قالت إن زوجى ذبح شاة فى يوم عيد الأضحى ، وكان لى صبيّان مليحان يلعبان ، فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبى الشاة ؟ قال نعم . فأخذه وذبحه ، وما

شعرنا به إلا متشحّطا فى دمه . فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل ، فرهقه ذئب فأكله ، وخرج أبوه يطلبه ، فمات عطشا من شدة الحر . قالت فرمانى الدهر كما ترى .

فأمثال هذه المصائب ينبغى أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة إلّا ويتصور ما هو أعظم منها ، وما يدفعه الله فى كل حال فهو الأكثر .

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار . وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار . وقد كان رسول الله ﷺ[٢٣٣] نهى عن زيارة القبور ثم أذن فى ذلك بعد: روى عن على رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ « **كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُور فَزُورُوهَا فَإِنَّها تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ غَيْرَ أَنْ لَا تَقُولُوا هُجْرًا** »[٢٣٤] وزار رسول الله ﷺ قبر أمه فى ألف مقنع ، فلم يُر باكيا أكثر من يومئذ[٢٣٥] وفى هذا اليوم قال: « **أُذِنَ لِى فِى الزِّيَارَةِ دُونَ الاسْتِغْفَار**[٢٣٦] » كما أوردنا من قبل . وقال[٢٣٧] ابن أبى مليكة : أقبلت عائشة رضى الله عنها

(٢٣٣) حديث نهيه عن زيارة القبور ثم اذنه فى ذلك : مسلم من حديث بريدة.

(٢٣٤) حديث على كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنده وابن أبى الدنيا فى كتاب القبور واللفظ له ولم يقل أحمد وأبو على غير أن لا تقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدعان عن ربيعة بن النابغة قال البخارى: لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان فى الثقات . والهجر ، بالضم : الإفحاش فى الكلام .

(٢٣٥) حديث زار رسول الله ﷺ قبر أمه فى ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ : ابن أبى الدنيا من وجه آخر كنا معه قريبا من ألف راكب وفيه أنه لم يؤذن له فى الاستغفار لها.

(٢٣٦) حديث وقال فى هذا اليوم أذن لى فى الزيارة دون الاستغفار : تقدم فى الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له فى الاستغفار ورواه مسلم من حديث أبى هريرة استأذنت ربى أن استغفر لأمى فلم يأذن لى واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لى .

(٢٣٧) حديث ابن أبى مليكة أقبلت عائشة يوما من المقابر فقلت ياأم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخى عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها : ابن ابى الدنيا فى القبور بإسناد جيد.

يوماً من المقابر ، فقلت : ياأم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت من قبر أخي عبد الرحمن . فقلت أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها ؟ قالت : نعم ثم أمر بها .

ليس للنساء زيارة القبور فى زماننا

ولا ينبغى أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء فى الخروج إلى المقابر ، فإنهن يكثرن الهجر على رءوس المقابر ، فلا يفي خير زيارتهن بشرّها ، ولا يخلون فى الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم ، والزيارة سنة ، فكيف يحتمل ذلك لأجلها ؟ نعم لا بأس بخروج المرأة فى ثياب بذْلة ترد أعين الرجال عنها ، وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء ، وترك الحديث على رأس القبر . وقال[٢٣٨] أبو ذر : قال رسول الله ﷺ « **زُرِ الْقُبُورَ تَذْكُرْ بِهَا الْآخِرَةَ وَاغْسِلِ الْمَوْتَى فَإِنَّ مُعَالَجَةَ جَسَدٍ خَاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزِنَكَ فَإِنَّ الْحزِينَ فِي ظِلِّ الله** » .

وقال ابن أبى مليكة : قال رسول الله ﷺ[٢٣٩] « **زُورُوا مَوْتَاكُمْ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهِمْ عِبْرَةً** » .

وعن نافع ، أن ابن عمر كان لايمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلّم عليه .

---

(٢٣٨) حديث أبى ذر زر القبور تذكر الآخرة واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة – الحديث : ابن أبى الدنيا فى القبور والحاكم باسناد جيد .

(٢٣٩) حديث ابن أبى مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم – الحديث : ابن أبى الدنيا فيه هكذا مرسلا واسناده حسن .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام ، فتصلى وتبكى عنده .

وقال النبى (٢٤٠) « **مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا فِى كُلِّ جُمُعَةٍ غُفِرَ له وَكُتِبَ بَرّاً** » . وعن ابن سيرين قال(٢٤١) : قال رسول الله ﷺ « **إِنَّ الرَّجُلَ لَيَمُوتُ وَالِدَاهُ وَهُوَ عَاقٌّ لَهُمَا فَيَدْعُو اللهَ لَهُمَا مِنْ بَعْدِهِمَا فَيَكْتُبُهُ اللهُ مِنَ الْبَارِّينَ** » . وقال النبى ﷺ(٢٤٢) « **مَنْ زَارَ قَبْرِى فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِى** » وقال ﷺ(٢٤٣) « **مَنْ زَارَنِى بِالْمَدِينَةِ مُحْتَسِبًا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً وَشَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » . وقال كعب الأحبار ، ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفّوا بالقبر ، يضربوا بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ ، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم ، فصنعوا مثل ذلك ، حتى إذا انشقت الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه .

---

(٢٤٠) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب برا : الطبرانى فى الصغير والأوسط من حديث أبى هريرة وابن أبى الدنيا فى القبور من رواية محمد بن النعمان برفعه وهو معضل ومحمد ابن النعمان مجهول وشيخه عند الطبرانى يحيى بن العلاء البجلى متروك .

(٢٤١) حديث ابن سيرين أن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين : ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عقبة ابن أبى العيزار عن محمد بن حجادة عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن حجادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف .

(٢٤٢) حديث من زار قبرى وجبت له شفاعتى : رواه البيهقى فى شعب الإيمان وابن عدى عن ابن عمر فى الكامل أنظر الفتح الكبير ١٩٥/٣ .

(٢٤٣) حديث من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة .

المستحب فى زيارة القبور

والمستحب فى زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة ، مستقبلا بوجهه الميت ، وأن يسلم ، ولا يمسح القبر ، ولا يمسه ، ولا يقبّله فإن ذلك من عادة النصارى قال نافع : كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر ، يجىء إلى القبر فيقول : السلام على النبى . السلام على أبى بكر . السلام على أبى وينصرف .

وعن أبى أمامة قال : رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبى ﷺ ثم انصرف فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبى ﷺ .

استئناس الميت بالزيارة له

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ(٢٤٤) « **مَامِنْ رَجُل يَزُورُ قَبْرَ أَخِيهِ وَيَجْلِسُ عِنْدَهُ إِلَّا اسْتَأْنَسَ بِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَقُومَ** » .

وقال سليمان بن سحيم ، رأيت رسول الله ﷺ فى النوم ، فقلت يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك ، أتفقه سلامهم ؟ قال نعم وأردّ عليهم .

الميت يرد السلام

وقال أبو هريرة . إذا مرّ الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلّم عليه رد عليه السلام وعرفه . وإذا مرّ بقبر لا يعرفه وسلّم عليه . رد عليه السلام .

---

(٢٤٤) حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم : ابن أبى الدنيا فى القبور وفيه عبد الله بن سمعان وهو أقف على حاله ورواه ابن عبد البر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الاشبيلى .

وقال رجل من آل عاصم الجحدرى : رأيت عاصما فى منامى بعد موته بسنتين ، فقلت : أليس قد مت ؟ قال بلى . فقلت أين أنت ؟ فقال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى ، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبى بكر بن عبد الله المزنى، فنتلاقى أخباركم . قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال هيهات بليت الأجسام ، وإنما تتلاقى الأرواح . قال قلت : فهل تعلمون بزيارتنا إياكم ؟ قال نعم نعلم بها عشيَّة الجمعة . ويوم الجمعة كله ، ويوم السبت إلى طلوع الشمس . قلت وكيف ذات دون الأيام كلها . قال لفضل يوم الجمعة وعظمه .

فضل يوم الجمعة

وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة ، فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين . قال بلغنى أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ، ويوما قبله ، ويوما بعده .

وقال الضحاك : من زار قبرا قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته . قيل وكيف ذاك ، قال لمكان يوم الجمعة .

وقال بشر بن منصور . لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز ، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال . آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم ، وقبل الله حسناتكم . لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل : فأمسيت ذات ليلة ، فانصرفت إلى أهلى ، ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو ، فبينا أنا نائم ، إذا بخلق كثير قد جاءونى ، فقلت ما أنتم ، وما حاجتكم ؟ قالوا : نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم ، قالوا : إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك . قلت وما هى ؟ قالوا

الدعوات التى كنت تدعو لنا بها . قلت فإنى أعود لذلك . فما تركتها بعد ذلك .

انتفاع الميت بالدعاء له

وقال بشار بن غالب النجرانى : رأيت رابعة العدوية العابدة فى منامي ، وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت لى يابشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور ، مخمرة بمناديل الحرير قلت : وكيف ذاك ؟ قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور ، وخُمّر[٢٤٥] بمناديل الحرير ، ثم أتى به الميت ، فقيل له هذه هدية فلان إليك . وقال رسول الله[٢٤٦] «**مَا الْمَيِّتُ فِى قَبْرِهِ إِلَّا كَالْغَرِيقِ الْمُتَغَوِّثِ يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ صَدِيقٍ لَهُ فَإِذَا لَحِقَتْهُ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وإِنَّ هَدَايَا الْأَحْيَاءِ لِلْأَمْوَاتِ الدُّعَاءُ وَالاسْتِغْفَارُ**» .

وقال بعضهم : مات أخ لى ، فرأيته فى المنام فقلت ما كان حالك حيث وضعت فى قبرك قال أتانى آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعيا دعا لى لرأيت أنه سيضربنى به .

تلقين الميت

ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له . قال[٢٤٧] سعيد

---

(٢٤٥) خُمِّرَ ، أى غُطِّى ، والمرأة تضع على فتحة صدرها الخمار ليغطيها ، وفى القرآن ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ .

(٢٤٦) حديث ما الميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه أو صديق له الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن على بن عبد الواحد قال الذهبى: حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل.

(٢٤٧) حديث سعيد بن عبد الله الأزدى قال شهدت أبا أمامة الباهلى – وهو فى النزع

ابن عبد الله الأزدى شهدت أبا أمامة الباهلي وهو فى النزع ، فقال ياسعيد ، إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال « **إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَسَوَّيْتُمْ عَلَيْهِ التُّرَابَ فَلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عَلَى رَأْسِ قَبْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ يَافُلَانُ ابْنُ فُلَانَة فَإِنَّهُ يَسْمَعُ وَلَا يُجِيبُ ثُمَّ لْيَقُل يَافُلَانُ بْنُ فُلَانَة الثَّانِيَةَ فَإِنَّهُ يَسْتَوِى قَاعِداً ثُمَّ لْيَقُلْ يَافُلَانُ بْنُ فُلَانَة الثَّالِثَةَ فَإِنَّهُ يَقُولُ أَرْشِدْنَا يَرْحَمْكَ الله وَلَكِنْ لَا تَسْمَعُونَ فَيَقُولُ لَهُ اذْكُرْ مَا خَرَجْتَ عَلَيْهِ مِنْ الدُّنْيَا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله وَأَنَّكَ رَضِيتَ بالله رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبياً وَبالْقُرْآنِ إِمَاماً فَإِنَّ مُنْكَراً وَنَكِيراً يَتَأَخَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَيَقُولُ انْطَلِقْ بِنَا مَا يُقْعِدُنَا عِنْد هذا وَقَدْ لُقِّن حُجَّتَهُ وَيَكُونُ الله عَزَّ وَجَلَّ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا** » فقال رجل يارسول الله ، فإن لم يعرف اسم أمه ؟ قال فلينسبه إلى حواء .

قراءة القرآن على القبور

ولا بأس بقراءة القران على القبور . وروي عن علي بن موسى الحداد قال : كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ، ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا . فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر ، فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد : يا أبا عبد الله ، ما تقول فى مبشر بن إسماعيل الحلبى ؟ قال ثقة . قال هل كتبت عنه شيئا ؟ قال نعم . قال أخبرنى مبشر بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج . عن أبيه . أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها .

فقال ياسعيد : إذا متّ فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال : إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول : يا فلان ابن فلانة ـــ الحديث : فى تلقين الميت فى قبره الطبرانى هكذا بإسناد ضعيف .

وقال : سمعت ابن عمر يوصي بذلك . فقال له أحمد . فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ .

وقال محمد بن أحمد المروزى . سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب . والمعوِّذتين ، وقل هو الله أحد ، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

وقال أبو قلابة : أقبلت من الشام إلى البصرة ، فنزلت الخندق ، فتطهرت وصليت ركعتين بليل ، ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ، ثم تنبّهت ، فإذا صاحب القبر يشتكيني ويقول : لقد آذيتني منذ الليلة ، ثم قال : إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ، ثم قال : لَلرَّكعتان اللتان ركعتهما خيرٌ من الدينا وما فيها . ثم قال : جزى الله عنا أهل الدينا خيرا . أقرئهم السلام ، فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال .

المقصود من زيارة القبور !!

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها ، وللمزور الانتفاع بدعائه ، فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ، ولا عن الاعتبار به . وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه ، وكيف يبعث من قبره ، وأنه على القرب سيلحق به ، كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال . كانت عجوز في عبد القيس متعبدة ، فكان إذا جاء الليل تحزّمت ثم قامت إلى المحراب ، وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور . فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت . إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البِلَى ، وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيرة ، وإلى تلك الأجفان الدسمة ، فيالَها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكلَ مرارتها

للأنفس ، وأشد تلفها للأبدان . بل ينبغى أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز ، حيث دخل عليه فقيه ، فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة ، فقال له يافلان ، لو رأيتنى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى ، وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين ، وتفلصت الشفتان عن الأسنان ، وخرج الصديد من الفم ، وانفتح الفم ، ونتأ البطن فعلا الصدر ، وخرج الصلب من الدبر ، وخرج الدود والصديد من المناخر ، لرأيت أعجب مما تراه الآن !

استحباب الثناء على الميت

ويستحب الثناء على الميت ، وألّا يذكر إلا بالجميل ، قالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ(٢٤٨) « **إذا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ وَلا تَقَعُوا فِيه**» وقال ﷺ(٢٤٩) «**لَا تسبُوا الأَمواتَ فَإِنَّهُم قد أفضوْا إِلى ما قدمُوا** » وقال ﷺ(٢٥٠) « **لَا تَذْكُرُوا مَوْتَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّهُمْ إِنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَةِ تأثموا وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَحَسْبُهُمْ مَا هُمْ فِيهِ** » .

---

(٢٤٨) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه : أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد .

(٢٤٩) حديث لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا : البخارى من حديث عائشة أيضا .

(٢٥٠) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخير – الحديث : ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا باسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة جيد مقتصرا على ما ذكر منه هنا بلفظ هلكاكم وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى .

وقال[٢٥١] أنس بن مالك : مرت جنازة على رسول الله ﷺ ، فأثنوا عليها شرّاً ، فقال عليه السلام «وَجَبَتْ» ومروا بأخرى ، فأثنوا عليها خيرا ، فقال رسول الله ﷺ « وَجَبَتْ » فسأله عمر عن ذلك فقال « **إِنَّ هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِى الْأَرْضِ** » .

وقال[٢٥٢] أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ:« **إِنَّ الْعَبْدَ لَيَمُوتُ فَيُثْنِى عَلَيْهِ الْقَوْمُ الثَّنَاءَ يَعْلَمُ اللهُ مِنْهُ غَيْرَهُ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ قَبِلْتُ شَهَادَةَ عَبِيدِى عَلَى عَبْدِى وَتَجَاوَزْتُ عَنْ عِلْمِى فِى عَبْدِى** » .

---

(٢٥١) حديث أنس:مرت جنازة على رسول الله ﷺ فاثنوا عليها شرا فقال:وجبت الحديث : متفق عليه .

(٢٥٢) حديث أبى هريرة أن العبد ليموت فيثنى عليه القوم الثناء يعلم الله منه غير ذلك – الحديث : أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ يرويه عن ربه عز وجل:ما من عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث أبيات من جيرانه الادنين بخير إلّا قال الله عز وجل:قد قبلت شهادة عبادى على ما علموا وغفرت له ما أعلم .

الباب السّابع
حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور
• بيان حقيقة الموت .
• بيان كلام القبر للميت .
• بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير .
• سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر
وبقية القول فى عذاب القبر .

بيان حقيقة الموت

اعلم أن للناس فى حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد أخطئوا فيها . فظن بعضهم أن الموت هو العدم ، وأنه لا حشر ولا نشر ، ولا عاقبة للخير والشر ، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات ، وهذا رأي الملحدين . وكل من لايؤمن بالله واليوم الآخر .

وظنّ قوم أنه ينعدم بالموت ، ولا يتألم بعقاب ، ولا يتنعم بثواب مادام فى القبر ، إلى أن يعاد فى وقت الحشر .

وقال آخرون : إن الروح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد ، وأن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلا .

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق . بل الذى تشهد له طرق الاعتبار . وتنطق به الآيات والأخبار ، أن الموت معناه تغير حال فقط ، وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة . ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها ، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها ، حتى أنها لتبطش باليد ، وتسمع بالأذن وتبصر بالعين ، وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب . والقلب ههنا عبارة عن الروح ، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة ، ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن ، والغم ، والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور ، وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء . فكل ما هو

وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد ، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد فى القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده .

وإنما تعطلُ الجسد بالموت يضاهى تعطل أعضاء الزّمن(*) بفساد مزاج يقع فيه ، وبشدة تقع فى الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة ، العاقلة ، المدركة ، باقية مستعملة لبعض الأعضاء ، وقد استعصى عليها بعضها والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات ، والروح هي المستعملة لها . وأعنى بالروح المعنى الذى يدرك من الإنسان العلوم ، وآلام الغموم ، ولذّات الأفراح . ومهما بطل تصرفها فى الأعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات . ولا بطل منها الأفراح والغموم ، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات . والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت ، أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن ، وخروج البدن عن أن يكون آلة له ، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة . فالموت زمانة(٢٥٣) مطلقة فى الأعضاء كلها . وحقيقة الإنسان نفسه وروحه ، وهي باقية . نعم تغير حاله من جهتين .

إحداهما : أنه سلب منه عينه ، وأذنه ، ولسانه ، ويده ، ورجله ، وجميع أعضائه . وسلب منه أهله ، وولده ، وأقاربه ، وسائر معارفه . وسلب منه خيله ، ودوابه وغلمانه ، ودوره ، وعقاره ، وسائر أملاكه . ولا فرق بين أن تسل هذه الأشياء من الإنسان . وبين أن

* الزّمن : صاحب العاهة والمريض بمرض مزمن . (٢٥٣) الزمانه : العاهة

يسلب الإنسان من هذه الأشياء ، فإن المؤلم هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل ، وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال ، والألم واحد فى الحالتين . وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم . فإن كان له فى الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ، ويعتد بوجوده ، فيعظم تحسره عليه بعد الموت ، ويصعب شقاؤه فى مفارقته ، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله ، وجاهه ، وعقاره . حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به . وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله . ولم يأنس إلا به ، عظم نعيمه ، وتمت سعادته ، إذ خلى بينه وبين محبوبه ، وقطعت عنه العوائق والشواغل ، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله . فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة .

والثانى : أنه ينكشف له بالموت مالم يكن مكشوفا له فى الحياة ، كما قد ينكشف للمتيقظ مالم يكن مكشوفا فى النوم . والناس نيام . فإذا ماتوا انتبهوا . وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته ، وقد كان ذلك مسطورا فى كتاب مطوى فى سر قلبه ، وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا . فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله ، فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة ، وعند ذلك يقال له ﴿ **كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾[٢٥٤] وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس ، وقبل الدفن ، وتشتعل فيه نيران الفراق ، أعنى فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية ، دون ما أراد منها لأجل

---

(٢٥٤) الإسراء : ١٤

الزاد والبلغة[٢٥٥] ، فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية للزاد ، إذ لم يكن يريد الزاد لعينه . وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة ، وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه ، فقد حصل ما كان يوده . واستغنى عنه .

وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة ، تهجم عليه قبل الدفن ، ثم عند الدفن قد تردُّ روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب . وقد يعفى عنه . ويكون حال المتنعم بالدنيا ، المطمئن إليها ، كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك فى داره . وملكه . وحريمه ، اعتمادا على أن الملك يتساهل فى أمره ، أو على أن الملك ليس يدرى ما يتعاطاه من قبيح أفعاله ، فأخذه الملك بغتة . وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة ، وخطوة خطوة ، والملك قاهر متسلط ، وغيور على حرمه ، ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه فى العصاة عليه . فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف ، والخجلة ، والحياء ، والتحسر ، والندم ، فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا ، المطمئن إليها ، قبل نزول عذاب القبر به ، بل عند موته نعوذ بالله منه . فإن الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع ، وغيرهما . فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت ، شاهدَها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين . وشهد بذلك شواهد الكتاب والسنة . نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كُنه حقيقة الموت ، إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة ، ومعرفة الحياة

---

(٢٥٥) البُلغة : بلوغ الإنسان غايته ومساعدته على مواصلة العمل .

بمعرفة حقيقة الروح فى نفسها . وإدراك ما هية ذاتها[٢٥٦] ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ، ولا أن يزيد على أن يقول ﴿ **الروح من أمر ربى** ﴾ فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه ، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت .

عدم انعدام الروح بالموت

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة أما الآيات : فما ورد فى الشهداء ، إذ قال تعالى ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ**[٢٥٧] ﴾[٢٥٨] ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله ﷺ فقال:« **يَافُلَانُ يَافُلَانُ يَافُلَانُ قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِى رَبِّى حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقا** » فقيل يارسول الله أتناديهم وهم أموات : فقال ﷺ « **وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُمْ لَأَسْمَعُ لِهَذَا ٱلْكَلَامِ مِنْكُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْجَوَابِ** » فهذا نص فى بقاء روح الشقي ، وبقاء إدراكها ومعرفتها والآية نص فى أرواح الشهداء ، ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة .

وقال ﷺ[٢٥٩] « **ٱلْقَبْرُ إِمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ**

---

(٢٥٦) حديث انه لم يؤذن لرسول الله ﷺ : ان يتكلم فى الروح : متفق عليه من حديث ابن مسعود فى سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى ويسئلونك عن الروح.

(٢٥٧) آل عمران : ١٦٩.

(٢٥٨) حديث. نداؤه من قتل من صناديد قريش يوم بدر يافلان قد وجدت ما وعدنى ربى حقا – الحديث : مسلم من حديث عمر بن الخطاب .

(٢٥٩) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة : الترمذى من حديث أبى سعيد.

رِيَاضِ الْجَنَّةِ » وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط ، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر ، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله .

وروى(٢٦٠) أنس عن النبى ﷺ أنه قال « **الْمَوْتُ الْقِيَامَةُ فَمَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ** » .

رؤية الميت مقعده

وقال ﷺ(٢٦١) « **إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنَ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنَ النَّارِ وَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » وليس يخفى مافى مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم فى الحال .

وعن أبى قيس قال كنا مع علقمة فى جنازة ، فقال : أما هذا فقد قامت قيامتهُ .

وقال على كرم الله وجهه : حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هى أم من أهل النار .

وقال(٢٦٢) أبو هريرة ، قال رسول الله ﷺ « **مَنْ مَاتَ غَرِيبًا مَاتَ شَهِيداً وَوُقِيَ فَتَّانَاتِ الْقَبْرِ وَغُدِيَ وَرِيحَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ مِنَ الْجَنَّةِ** » .

وقال مسروق : ما غبطت أحدا ما غبطت مؤمنا فى اللحد ، قد استراح من نصب الدنيا ، وأمن عذاب الله .

---

(٢٦٠) حديث أنس: الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته : ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد ضعيف.

(٢٦١) حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى – الحديث : متفق عليه من حديث ابن عمر .

(٢٦٢) حديث أبى هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فتانى القبر : ابن ماجه بسند ضعيف وقال: فتنة القبر وقال ابن أبى الدنيا: فتان .

وقال يعلى بن الوليد : كنت أمشى يوما مع أبى الدرداء ، فقلت له . ما تحب لمن تحب ؟ قال الموت . قلت فإن لم يمت : قال يقلّ ماله وولده . وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن والموت إطلاق المؤمن من السجن ، وإنما أحب قلّة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا ، والأنس بمن لا بدّ من فراقه غاية الشقاء ، فكل ما سوى الله ، وذكره ، والأنس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ، ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات فى سجن فأخرج منه ، فهو يتفسح فى الأرض ويتقلب فيها . وهذا الذى ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرّم بها ، ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى ، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ، ومقاساة الشهوات تؤذيه ، فكان فى الموت خلاصه من جميع المؤذيات ، وانفراده بمحبوبه الذى كان به أنسه من غير عائق ولا دافع ، وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذّات .

وأكمل اللذّات للشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله ، لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا ، مشتاقين إلى لقاء الله . راضين بالقتل فى طلب مرضاته . فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة ، والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع . وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوّق إليها ، فما أعظم فرحة بما اشتراه إذا رآه ، وما أقلّ التفاته إلى ما باعه اذا فارقه ، وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق فى بعض الأحوال ، ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير ، والقتال سبب للموت ، فكان سببا لإدراك الموت على مثل هذه الحالة .

فلهذا عظم النعيم ، إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده . قال الله

تعالى ﴿ **وَلَهُم مَّا يشْتَهونَ** ﴾[٢٦٣] فكان هذا أجمع عبارة لمعانى لذات الجنة .

وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده ، كما قال الله تعالى ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبيْنَ ما يشْتَهُون**[٢٦٤] ﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم .

وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير ، وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين ، وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه ، وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن[٢٦٥] **عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول ﷺ لجابر « أَلَا أُبَشِّرُكَ يا جابِرُ »** وكان استشهد أبوه يوم أحد فقال ، بلى بشرك الله بالخير . فقال « **إِنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ قَدْ أَحْيَا أَبَاكَ وَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ تَمَنَّ عَلَيَّ عَبْدِى مَا شِئْتَ أُعْطِيكَهُ فَقَالَ يارَب مَا عَبَدْتُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ أَتَمَنَّى عَلَيْكَ أَنْ تَرُدَّنِى إِلَى الدُّنْيَا فأُقَاتِلَ مَعَ نَبِيِّكَ فأُقْتَلَ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى قَالَ لَهُ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّى أَنَّكَ إِلَيْهَا لَا تَرْجِعُ** » .

وقال كعب : يوجد رجل فى الجنة يبكى ، فيقال له لم تبكى وأنت

---

(٢٦٣) النحل : ٥٧ .

(٢٦٤) سبأ : ٥٤ .

(٢٦٥) حديث عائشة ألا أبشرك ياجابر – الحديث : وفيه أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه – الحديث : ابن أبى الدنيا فى الموت باسناد فيه ضعف وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقى الله به أباك قال:بلى يارسول الله – الحديث : وفيه قال: ياعبدى تمن على أعطك قال:يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية قال:الرب سبحانه انه سبق منى انهم لا يرجعون .

فى الجنة ؟ قال أبكى لأنى لم أقتل فى الله إلا قتلة واحدة ، فكنت أشتهى أن أردّ فأقتل فيه قتلات .

واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق ، ويكون مثاله كالمحبوس فى بيت مظلم فتح له باب إلى بستان واسع الأكناف ، لا يبلغ طرْفه أقصاه ، فيه أنواع الأشجار ، والأزهار ، والثمار ، والطيور ، فلا يشتهى العود إلى السجن المظلم . وقد ضرب له رسول الله ﷺ مثلا(٢٦٦) فقال لرجل مات « **أَصْبَحَ هَذَا مُرْتَحِلًا عَن الدُّنْيَا وَتَرَكَهَا لِأَهْلِهَا فَإِنْ كَانَ قَدْ رَضِىَ فَلَا يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا كَمَا لا يَسُرُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَرْجِعَ إِلى بَطْنِ أُمِّهِ** » فعرّفك أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا ، كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم .

وقال ﷺ(٢٦٧) « **إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ فِى الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْجَنِينِ فِى بَطْنِ أُمِّهِ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِهَا بَكَى عَلَى مَخْرَجِهِ حَتَّى إِذَا رَأَى الضَّوْءَ وَوُضِعَ لَمْ يُحِبَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ** » **وكذلك المؤمن يجزع من الموت ، فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا ، كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه .**

---

(٢٦٦) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه : ابن أبى الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلا ورجاله ثقات .

(٢٦٧) حديث إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه : ابن أبى الدنيا فيه ومن رواية بقية عن جابر ابن غانم عن سليم بن عامر الجنائزى مرسلا هكذا .

وقيل لرسول الله ﷺ ، إن فلانا قد مات . فقال[٢٦٨] « **مُسْتَرِيحٌ أَوْ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ** » أشار بالمستريح إلى المؤمن ، وبالمستراح منه إلى الفاجر ، إذ يستريح أهل الدنيا منه .

وقال أبو عمر صاحب السقيا مرّ بنا ابن عمر ونحن صبيان ، فنظر إلى قبر ، فإذا جمجمة بادية ، فأمر رجلا فواراها ثم قال : إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا ، وإنما الأرواح التى تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة .

وعن عمرو بن دينار قال : ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده ، وإنهم ليغسلونه ويكفونه ، وإنه لينظر إليهم .

وقال مالك بن أنس : بلغنى أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت .

وقال[٢٦٩] النعمان بن بشير : سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول : « **أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلُ الذُّبَابِ يَمُورُ فِى جَوِّهَا فَاللهُ فِى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ فَإِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيْهِمْ** » .

---

(٢٦٨) حديث قيل لرسول الله ﷺ إن فلانا قد مات فقال:مستريح أو مستراح منه : متفق عليه من حديث أبى قتادة بلفظ مر عليه بجنازة فقال:ذلك وهو عند ابن أبى الدنيا فى الموت باللفظ الذى أورده المصنف .

(٢٦٩) حديث النعمان بن بشير ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب يمور فى جوفها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم : ابن أبى الدنيا وأبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدى عن النعمان من قوله الله الله.ورواه بكماله الأزدى فى الضعفاء وقال:لا يصح اسناده.وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل بكماله فى ترجمة أبى اسماعيل الكوفى رواية عن مالك بن أدى ونقل عن أبيه أن كلا منهما مجهول قال:الأزدى لا يصح إسناده وذكر ابن حبان فى الثقات مالك بن أدى .

وقال[٢٧٠] أبو هريرة : قال النبى ﷺ « **لَا تَفْضَحُوا مَوْتَاكُم بِسَيِّئَاتِ أَعْمَالِكُمْ فَإِنَّهَا تُعْرَضُ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ** » .

ولذلك قال أبو الدرداء : اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملا أخزى به عند عبد الله ابن رواحة ، وكان قد مات ، وهو خاله .

مقر الأرواح

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال : فى حواصل طير بيض فى ظل العرش ، وأرواح الكافرين فى الأرض السابعة .

وقال[٢٧١] أبو سعيد الخدرى : سمعت رسول الله ﷺ يقول « **إِنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ مَنْ يُغَسِّلُهُ وَمَنْ يَحْمِلُهُ وَمَنْ يُدَلِّيهِ فِى قَبْرِهِ** » .

تلاقى الأرواح بعد الموت

وقال صالح المرى : بلغنى أن الأرواح تتلاقى عند الموت . فتقول أرواح الموتى للروح التى تخرج إليهم . كيف كان مأواك ؟ وفى أي الجسدين كنت ؟ فى طيّب أو خبيث ؟ .

وقال عبيد بن عمير . أهل القبور يترقبون الأخبار ، فإذا أتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم ؟ فيقولون :

---

(٢٧٠) حديث أبى هريرة لا تفضحوا موتاكم بسيآت أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور : ابن أبى الدنيا والمجاملى باسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع إنسانا عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات – الحديث :

(٢٧١) حديث أبى سعيد الخدرى أن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره : رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبه عبد الملك بن حسن.

إنا لله وإنا إليه راجعون ، سلك به غير سبيلنا .

وعن جعفر بن سعيد قال : إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب .

وقال مجاهد : إن الرجل ليبشَّر بصلاح ولده فى قبره .

وروى(٢٧٢) أبو أيوب الأنصارى ، عن النبى ﷺ أنه قال « **إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُبِضَتْ تَلَقَّاهَا أَهْلُ الرَّحْمَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ كَمَا يُتَلَقَّى الْبَشِيرُ فِى الدُّنْيَا يَقُولُونَ أَنْظِرُوا أَخَاكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيحَ فَإِنَّهُ كَانَ فِى كَرْبٍ شَدِيدٍ فَيَسْأَلُونَهُ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ وَمَاذَا فَعَلَتْ فُلَانَةٌ وَهَلْ تَزَوَّجَتْ فُلَانَةٌ فَإِذَا سَأَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ مَاتَ قَبْلَهُ وَقَالَ مَاتَ قَبْلِى قَالُوا إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ** » .

(٢٧٢) حديث أبى أيوب أن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير يقولون: أنظروا أخاكم حتى يستريح : ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى مسند الشاميين باسناد ضعيف. ورواه ابن المبارك فى الزهد موقوفا على أبى أيوب باسناد جيد ورفعه ابن صاعد فى زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائى وابن حبان ونحوه من حديث أبى هريرة بإسناد جيد .

بيان كلام القبر للميت

وكلام الموتى إما بلسان المقال ، أو بلسان الحال التى هي أفصح فى تفهيم الموتى من لسان المقال فى تفهيم الأحياء . قال رسول الله ﷺ (٢٧٣) « **يَقُولُ الْقَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يوضَعُ فِيهِ رَيْحَكَ يَاابْنَ آدَمَ مَا غَرَّكَ بِى أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّى بَيْتُ الْفِتْنَةِ وَبَيْتُ الظُّلْمَةِ وَبَيْتُ الْوَحدةِ وبيتُ الدُّودِ مَا غَرَّكَ بِى إِذْ كُنْتَ تَمُرُّ بِى فَذَّاذًا فإِنْ كَانَ مُصْلِحًا أَجابَ عَنْهُ مُجِيبُ الْقَبْرِ فَيَقُولُ : أَرَأَيْتَ أَنْ كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ الْقَبْرُ إِنِّى إِذاً أَتَحَوَّلُ عَلَيْهِ خَضِراً وَيعُودُ جَسَدُهُ نُوراً وَتَصْعَدُ رُوحُهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى** » والفذّاذ هو الذي يقدم رجْلا ويؤخر أخرى ، هكذا فسره الراوى .

وقال عبيد بن عمير الليثى : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التى يدفن فيها . أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد ، فإن كنتَ فى حياتك لله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة . أنا الذى من دخلنى مطيعا خرج مسرورا ، ومن دخلنى عاصيا خرج مثبورا(٢٧٤) .

---

(٢٧٣) حديث: يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يابن آدم ماغرك بى ألم تعلم أنى بيت الفتنة — الحديث : ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور والطبرانى فى مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم فى الكنى من حديث أبى الحجاج الثملى باسناد ضعيف .

(٢٧٤) مثبورًا : ملعونا مطرودًا .

وقال محمد بن صبيح : بلغنا أن الرجل إذا وضع فى قبره فعذب ، أو أصابه بعض ما يكره ، ناداه جيرانه من الموتى : أيها المتخلف فى الدنيا بعد إخوانه وجيرانه ، أما كان لك فينا معتبر ؟ أما كان لك فى متقدمنا إياك فكرة ؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة ؟ فهلا استدركت ما فات إخوانك ! وتناديه بقاع الأرض . أيها المغتر بظاهر الدنيا ، هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ، ثم سبق به أجله إلى القبور ، وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذى لابد له منه .

وقال يزيد الرقاشى : بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته[٢٧٥] أعماله ، ثم أنطقها الله فقالت : أيها العبد المنفرد فى حفرته ، انقطع عنك الأخلاء والأهلون ، فلا أنيس لك اليوم عندنا .

وقال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى القبر احتوشته أعماله الصالحة ، الصلاة والصيام والحج ، والجهاد ، والصدقة ، قال فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه ، فتقول الصلاة : إليكم[٢٧٦] عنه فلا سبيل لكم عليه ، فقد أطال بى القيام لله عليهما . فيأتونه من قبل رأسه ، فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه ، فقد أطال ظمأه لله فى دار الدنيا ، فلا سبيل لكم عليه ، فيأتونه من قبل جسده ، فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه ، وحج وجاهد . فلا سبيل لكم عليه . قال فيأتونه من قبل يديه ، فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبى ، فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله تعالى ابتغاء وجهه ، فلا سبيل لكم عليه .

(٢٧٥) احتوشته : أحدقت به وأحاطت .

(٢٧٦) إليكم عنه : ابعدوا وانصرفوا عنه .

قال فيقال له هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً . قال وتأتيه ملائكة الرحمة ، فتفرش له فراشا من الجنة : ودثارا[٢٧٧] من الجنة ، ويفسح له فى قبر مد بصره ، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضىء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره .

وقال[٢٧٨] عبد الله بن عبيد بن عمير فى جنازة بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « **إِنَّ الْمَيِّتَ يَقْعُدُ وَهُوَ يَسْمَعُ خَطْوَ مُشَيِّعِيهِ فَلَا يُكَلِّمُهُ شَيْءٌ إِلَّا قَبْرُهُ يَقُولُ وَيْحَكَ ابْنَ آدَمَ أَلَيْسَ قَدْ حُذِّرْتَنِى وَحُذِّرْتَ ضِيقِى وَنَتْنِى وَهَوْلِى وَدُودِى فَمَاذَا أَعْدَدْتَ لِى ؟** » .

(٢٧٧) الدثار : الغطاء .

(٢٧٨) حديث عبد الله بن عبيد بن عمير بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه إلا قبره ويحك يابن آدم – الحديث : ابن أبى الدنيا فى القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك فى الزهد إلا أنه قال بلغنى ولم يرفعه .

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير

قال[٢٧٩] البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار ، فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسا رأسه ، ثم قال « **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** » ثلاثا ثم قال « **إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِى قُبِلٍ مِنَ الآخِرَةِ بَعَثَ اللهُ مَلاَئِكَةً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ حَنُوطُهُ وَكَفَنُهُ فَيَجْلِسُونَ مد بَصَرِهِ فَإِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ وَكل مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَلَيْسَ مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ بِرُوحِهِ مِنْهُ فَإِذَا صُعِدَ بِرُوحِهِ قِيلَ أَى رَبِّ عَبْدُكَ فُلاَنٌ فَيَقُولُ ارْجِعُوهُ فَأَرُوهُ مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ فَإِنِّى وَعَدْتُهُ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ[٢٨٠] ﴾ الآية . وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حَتَّى يُقَالَ يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيكَ ؟ فَيَقُولُ رَبِّىَ اللهُ وَدِينِى الإِسْلاَمُ ونَبِيِّى مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ فَيَنْتَهِرَانِهِ انْتِهاراً شَدِيداً وَهِىَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمَيِّتِ فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ**

---

(٢٧٩) حديث البراء خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر – الحديث : بطوله أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائى وابن ماجه مختصراً . وقُبل من الآخرة : إقبال عليها . والحنوط كل طيب يمنع الفساد مما يحفظ جثة الميت من البلى طويلا .

(٢٨٠) طه : ٥٥ .

نَادَى مُنَادٍ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تعالى ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ[٢٨١] ﴾ الآية ثُمَّ يأْتِيهِ آت حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ حَسَنُ الثِّيابِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ فَيَقُولُ : وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصالِحُ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا إِلَى طَاعَةِ اللهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ فَجَزَاكَ اللهُ خَيْراً قَالَ ثُمَّ يُنَادِى مُنَادٍ أَنِ افْرِشُوا لَهُ مِنْ فَرْشِ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ فَيُفْرَشُ لَهُ مِنَ فَرْشِ الْجَنَّةِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ اللَّهُمَّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِى وَمَالِى قَالَ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ فِى قُبُلٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ مَعَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ وَسَرَابِيلُ[٢٨٢] مِنْ قَطِرَانٍ فَيَحْتَوِشُونَهُ فَإِذَا خَرَجَتْ نَفْسُهُ لَعَنَهُ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِى السَّمَاءِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَلَيْسَ مِنْهَا بَابٌ إِلَّا يَكْرَهُ أَنْ يَدْخُلَ بِرُوحِهِ مِنْهُ فَإِذَا صُعِدَ بِرُوحِهِ نُبِذَ وَقِيلَ أَيْ رَبِّ عَبْدُكَ فُلَانٌ لَمْ تَقْبَلْهُ سَمَاءٌ وَلَا أَرْضٌ فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ارْجِعُوهُ فَأَرُوهُ مَا أَعْدَدْتُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ إِنِّى وَعَدْتُهُ ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ[٢٨٣] ﴾ الآية وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حَتَّى يُقَالَ لَهُ يَاهَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ وَمَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ لَا أَدْرِى فَيُقَالُ لَا دَرَيْتَ ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ قَبِيحُ الثِّيَابِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَبِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ بَشَّرَكَ اللهُ بِشَرٍّ مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ وَاللهِ إِنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا فِى

---

(٢٨١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢٨٢) السرابيل : جمع سربال كل ما يلبس وقيل : القميص .

(٢٨٣) طه : ٥٥ .

مَعْصِيَةِ اللهِ بَطِيئاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ فَجَزَاكَ اللهُ شَرًا فَيَقُولُ وَأَنتَ فَجَزَاكَ اللهُ شَرًا ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَصَمُّ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا الثَّقَلَانِ عَلَى أَنْ يُقِلُّوهَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ صَارَ تُرَاباً فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَاباً ثُمَّ تَعُودُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَضْرِبُهُ بِهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَنْ عَلَى الْأَرْضِينَ لَيْسَ الثَّقَلَيْنِ قال ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ أَنِ افْرِشُوا لَهُ لَوْحَيْنِ مِنْ نَارٍ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ فَيُفْرَشُ لَهُ لَوْحَانِ مِنْ نَارٍ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ » . قال محمد بن علي : ما من ميت يموت إلا مثّل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة . قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته .

وقال(٢٨٤) أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِحَرِيرَةٍ فِيهَا مِسْكٌ وَضَبَائِرُ(*) الرَّيْحَانِ فَنَسُلَّ رُوحَهُ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعجين وَيُقَالُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اخْرُجِي رَاضِيَةً وَمَرْضِيًا عَنْكِ إِلَى رُوحِ اللهِ وكرامته فَإِذَا أُخْرِجَتْ رُوحُهُ وُضِعَتْ عَلَى ذَاكَ الْمِسْكِ وَالرَّيْحَانِ وَطُوِيَتْ عَلَيْهَا الْحَرِيرَةُ وَبُعِثَ بِهَا إِلَى عِلِّيِّينَ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ أَتَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِمَسْحٍ فِيهِ جَمْرَةٌ فَتُنْزَعُ رُوحُهُ انْتِزَاعًا شَدِيدًا وَيُقَالُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي سَاخِطَةً وَمَسْخُوطاً عَلَيْكِ إِلَى هَوَانِ اللهِ وَعَذَابِهِ فَإِذَا أُخْرِجَتْ رُوحُهُ وُضِعَتْ عَلَى تِلْكَ الْجَمْرَةِ وَإِنَّ لَهَا نَشِيشاً وَيُطْوَى عَلَيْهَا الْمَسْحُ وَيُذْهَبُ بِهَا إِلَى سِجِّينٍ » .

---

(٢٨٤) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان . الحديث : ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف .

(*) الضبائر . الحزم .

وعن محمد بن كعب القرظى ، أنه كان يقرأ قوله تعالى ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِى أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ**[٢٨٥] ﴾ قال أى شيء تريد ؟ فى أى شيء ترغب ؟ أتريد أن ترجع لتجمع المال ، وتغرس الغراس ، وتبنى البنيان ، وتشقق الأنهار ؟ قال لا لعلّى أعمل صالحا فيما تركت . قال فيقول الجبار . كلا ، إنها كلمة هو قائلها ، أى ليقولنها عند الموت . وقال[٢٨٦] أبو هريرة . قال النبي ﷺ « **الْمُؤْمِنُ فِى قَبْرِهِ فِى رَوْضَةٍ خَضْرَاءِ وَيُرَحَّبُ لَهُ فِى قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً وَيُضِيءُ حَتَّى يَكُونَ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ هَلْ تَدْرُونَ فِيمَاذَا أُنْزِلَتْ ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً[٢٨٧] ﴾** ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : « **عَذَابُ الْكَافِرِ فِى قَبْرِهِ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنِّيناً هَلْ تَدْرُونَ مَا التِّنِّينُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ حَيَّةً لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ يَحْدِشُونَهُ وَيَلْحَسُونَهُ وَيَنْفُخُونَ فِى جِسْمِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** » .

ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص ، فإن أعداد هذه الحيّات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر ، والرياء ، والحسد ، والغل ، والحقد ، وسائر الصفات ، فإن لها أصولا معدودة ، ثم تتشعب منها فروع معدودة ، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام . وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات ، وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات ، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين ، والضعيف يلدغ لدغ العقرب ، وما بينهما يؤذى إيذاء الحية . وأرباب القلوب

---

(٢٨٥) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٢٨٦) حديث أبى هريرة المؤمن فى قبره فى روضه خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعاً الحديث : رواه ابن حبان .

(٢٨٧) طه : ١٢٤ .

والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها ، إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة ، وأسرار خفيّة ، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة ، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها . بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم .

كيفية التصديق بشيء غير مشاهد

فإن قلت فنحن نشاهد الكافر فى قبره مدة ونراقبه ، ولا نشاهد شيئا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة ؟

فاعلم أن لك ثلاث مقامات فى التصديق بأمثال هذا :

أحدها : وهو الأظهر والأصح والأسلم ، أن تصدق بأنها موجودة ، وهى تلدغ الميت ، ولكنك لا تشاهد ذلك ، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية ، ولك ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت . أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل ، وما كانوا يشاهدونه ، ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده ؟ فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك . وإن كنت آمنت به ، وجوّزت أن يشاهد النبى مالا تشاهده الأمة ، فكيف لا تجوّز هذا فى الميت ؟ وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات . فالحيات والعقارب التى تلدغ فى القبر ليست من جنس حيات عالمنا ، بل هي جنس آخر ، وتدرك بحاسة أخرى .

المقام الثانى : أن تتذكر أمر النائم ، وأنه قد يرى فى نومه حية تلدغه ، وهو يتألم بذلك ، حتى تراه يصيح فى نومه ، ويعرق جبينه ،

وقد ينزعج من مكانه . كل ذلك يدركه من نفسه ، ويتأذى به كما يتأذى اليقظان ، وهو يشاهده ، وأنت ترى ظاهره ساكنا ، ولا ترى حواليه حيه ، والحية موجودة فى حقه ، والعذاب حاصل ، ولكنه فى حقك غير مشاهد ، وإذا كان العذاب فى ألم اللدغ ، فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد .

المقام الثالث : أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم ، بل الذى يلقاك منها وهو السم ، ثم السم ليس هو الألم ، بل عذابك فى الأثر الذى يحصل فيك من السم . فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر ، وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يفضى إليه فى العادة . فإنه لو خلق فى الإنسان لذة الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع ، لم يتمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه ، لتكون الإضافة للتعريف بالسبب ، وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب : والسبب يراد لثمرته لا لذاته ، وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات فى النفس عند الموت ، فتكون آلامها كآلام لدغ الحيّات من غير وجود حيّات . وانقلاب الصفة مؤذية يضاهى انقلاب العشق مؤذيا عند موت المعشوق . فإنه كان لذيذا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلما ، حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال . بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت ، فإنه قد سلط العشق فى الدنيا على نفسه ، فصار يعشق ماله ، وعقاره ، وجاهه ، وولده ، وأقاربه ، ومعارفه ، ولو أخذ جميع ذلك فى حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله ؟ أليس يعظم شقاؤه ، ويشتد عذابه . ويتمنى ويقول : ليته لم يكن لى مال قط ،

ولا جاه قط ، فكنت لا أتأذى بفراقه ؟ فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة .

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد ؟

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلّم إلى أعدائه ، ثم ينضاف إلى هذا العذاب تحسّره على مافاته من نعيم الآخرة ، والحجاب عن الله عز وجل . فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به ، فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته ، وحسرته على مافاته من نعيم الآخرة أبد الآباد ، وذل الرد والحجاب عن الله تعالى ، وذلك هو العذاب الذى يعذّب به ، إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم ، كما قال تعالى ﴿ **كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ**(٢٨٨) ﴾ .

وأما من لم يأنس بالدنيا ، ولم يحب إلا الله ، وكان مشتاقا إلى لقاء الله ، فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها ، وقدم على محبوبه ، وانقطعت عنه العوائق والصوارف ، وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبد الآباد ، ولمثل ذلك فليعمل العاملون .

والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خيّر بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب ، آثر الصبر على لدغ العقرب . فإذاً ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب ، وحبه للفرس هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه ، فليستعد لهذه اللدغات ، فإن الموت يأخذ منه فرسه ، ومركبه ، وداره ، وعقاره ، وأهله ، وولده ، وأحبابه ،

---

(٢٨٨) المطففين : ١٥ ، ١٦ .

ومعارفه ، ويأخذ منه جاهه وقبوله ، بل يأخذ منه سمعه وبصره ، وأعضاءه ، ويأس من رجوع جميع ذلك إليه . فإذا لم يحب سواه . وقد أخذ جميع ذلك منه ، فذلك أعظم عليه من العقارب والحيّات . وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه ، فكذلك إذا مات ، لأنا قد بيّنا أن المعنى الذى هو المدرك للآلام واللذات لم يمت ، بل عذابه بعد الموت أشد ، لأنه فى الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ، ويتسلى برجاء العود إليه ، ويتسلى برجاء العوض منه ، ولا سلوة بعد الموت ، إذ قد انسد عليه طرق التسلى ، وحصل اليأس ، فإذا كلّ قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفا عليه ، ومعذبا به . فإن كان مخفا فى الدنيا سلم ، وهو المعنى بقولهم نجا المخفون . وإن كان مثقلا عظم عذابه .

وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير ، فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين . وهو المعنى بقوله ﷺ(٢٨٩) « **صَاحِبُ الدِّرْهَمِ أَخَفُّ حِسَابًا مِنْ صَاحِبِ الدِّرْهَمَيْنِ** » وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت ، فإن شئت فاستكثر ، وإن شئت فاستقلل . فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة ، وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك . وإنما تكثر الحيّات والعقارب فى قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وفرحوا بها ، واطمأنوا إليها .

فهذه مقامات الايمان فى حيّات القبر وعقاربه ، وفى سائر أنواع عذابه .

(٢٨٩) حديث صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين : لم أجد له أصلا.

رأى أبو سعيد الخدرى ابنا له قد مات فى المنام ، فقال له يابني عظنى . قال لا تخالف الله تعالى فيما يريد . قال يابنى زدنى قال يأبت لا تطيق . قال قل ، قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا . فمالبس قميصا ثلاثين سنة .

فإن قلت : فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث ؟ فاعلم أن فى الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده . ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثانى . ومنهم من لم يثبت إلا الثالث . وإنما الحق الذى انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك فى حيز الإمكان ، وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره . فينكر من أفعال الله تعالى مالم يأنس به ويألفه ، وذلك جهل وقصور . بل هذه الطرق الثلاثة فى التعذيب ممكنة ، والتصديق بها واجب . وربّ عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع ، وربَّ عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة ، نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره .

هذا هو الحق فصدّق به تقليدا ، فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا . والذى أوصيك به أن لا تكثر نظرك فى تفصيل ذلك ، ولا تشتغل بمعرفته ، بل اشتغل بالتدبير فى دفع العذاب كيفما كان ، فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك ، كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه ، فأخذ طول الليل يتفكر فى أنه هل يقطعه بسكين ، أو بسيف ، أو بموسى ، وأهمل طريق الحيلة فى دفع أصل العذاب عن نفسه ، وهذا غاية الجهل . فقد عُلم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم ، أو نعيم مقيم ، فينبغى أن يكون الاستعداد له . فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان .

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول فى عذاب القبر

قال[٢٩٠] أبو هريرة : قال النبى صلى الله عليه وسلم « **إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِما مُنْكَرٌ وَللآخرِ نَكِيرٌ فَيَقُولَانِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى النَّبِىِّ ؟ فإِنْ كَانَ مُؤْمِناً قَالَ هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ فَيَقُولَانِ إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً فِى سَبْعِينَ ذِرَاعاً وَيُنَوَّرُ لَهُ فِى قَبْرِهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ دَعُونِى أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِى فَأُخْبِرُهُمْ فَيُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِى لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ . وَإِنْ كَانَ مُنَافِقاً قَالَ لَا أَدْرِى كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شيئاً وكُنْتُ أَقُولُهُ فَيَقُولَانِ إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تقُولُ ذلكَ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِى عليْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيها أَضْلاعُهُ فَلَا يَزَالُ مُعَذَّباً حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ** » .

---

(٢٩٠) حديث أبى هريرة إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير الحديث : الترمذى وحسنه وابن حبان مع اختلاف .

عدم تغير العقل بالموت

وعن[٢٩١] عطاء بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « **يَاعُمَرُ كَيْفَ بِكَ إِذَا أَنْتَ مُتَّ فَانْطَلَقَ بِكَ قَوْمُكَ فَقَاسُوا لَكَ ثَلَاثَةَ أَذْرُعٍ فِى ذِرَاعٍ وَشِبْرٍ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْكَ فَغَسَّلُوكَ وَكَفَّنُوكَ وَحَنَّطُوكَ ثُمَّ احْتَمَلُوكَ حَتَّى يَضَعُوكَ فِيهِ ثُمَّ يَهِيلُوا عَلَيْكَ التُّرَابَ وَيَدْفِنُوكَ فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْكَ أَتَاكَ فَتَانَا الْقَبْرِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَأَبْصَارُهُما كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ يَجُرَّانِ أَشْعَارَهُمَا ويبْحثانِ الْقَبْرَ بِأَنْيَابِهِمَا فَتَلْتَلَاكَ وَتَرْتَرَاكَ كَيْفَ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ** » فقال عمر ويكون معى مثل عقلى الآن ؟ قال نعم . قال إذا أكْفِيكَهُما .

وهذا نص صريح فى أن العقل لا يتغير بالموت ، إنما يتغير البدن والأعضاء ، فيكون الميت عاقلا ، مدركا ، عالما بالآلام واللذات كما كان ، لا يتغير من عقله شيء . وليس العقل المدرك هذه الأعضاء.. بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض ، بل الذى لا ينقسم فى نفسه هو المدرك للأشياء . ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ، ولم يبق إلا الجزء المدرك الذى لا يتجزأ ولا ينقسم . لكان الإنسان العاقل بكماله

---

(٢٩١) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع فى ذراع وشبر – الحديث : ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات قال البيهقى فى الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء ابن يسار مرسلا قلت ووصله ابن بطة فى الابانة من حديث ابن عباس ورواه البيقى فى الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الاسناد تفرد به مفصل ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله ابن عمر فقال عمر أيرد إلينا عقولنا فقال نعم كهيئتكم اليوم

قائما باقيا وهو كذلك بعد الموت ، فإن ذلك الجزء لا يحلّه الموت ، ولا يطرأ عليه العدم .

وقال محمد بن المنكدر : بلغنى أن الكافر يسلطّ عليه فى قبره دابة عمياء ، صماء ، فى يدها سوط من حديد ، فى رأسه مثل غرب الجمل ، تضربه به إلى يوم القيامة ، لاتراه فتتّقيه ، ولاتسمع صوته فترحمه .

وقال أبو هريرة : إذا وضع الميت فى قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته . فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه ، وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان والله لقد كان يبسطنى للصدقة والدعاء ، لاسبيل لكم عليه ، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه ، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية ، فيقول : أما إنى لو رأيت خللا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان : تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه ، وأهله وولده ، ثم يقال له عند ذلك : بارك الله فى مضجعك ، فنعم الأخلاء أخلاؤك ، ونعم الأصحاب أصحابك .

وعن(٢٩٢) حذيفة قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فجلس على رأس القبر ، ثم جعل ينظر فيه ، ثم قال « **يُضْغَطُ الْمُؤْمِنُ فِى هذا ضَغْطَةً تُرَدُّ مِنْهَا حَمَائِلُهُ** » .

وقالت(٢٩٣) عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ « **إِنَّ لِلْقَبْرِ**

(٢٩٢) حديث حذيفة كنت مع رسول الله ﷺ فى جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه – الحديث : رواه أحمد بسند ضعيف .

(٢٩٣) حديث عائشة أن للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ : رواه أحمد بإسناد جيد .

ضَغْطَةً وَلَوْ سَلِمَ أَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ » .

وعن أنس قال :(٢٩٤) توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وكانت امرأة مسقامة ، فتبعها رسول الله ﷺ . فساءنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه ، فقلنا يارسول الله رأينا منك شأنا فمم ذلك ؟ قال « **ذَكَرْتُ ضَغْطَةَ ابْنَتِي وَشِدَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ فَأُتِيتُ فَأُخْبِرْتُ أَنَّ اللهَ قَدْ خَفَّفَ عَنْهَا وَلَقَدْ ضُغِطَتْ ضَغْطَةً سَمِعَ صَوْتَهَا مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ** » .

(٢٩٤) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مسقامة – الحديث : وفيه لقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين : ابن أبي الدنيا في الموت من رواية سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه .

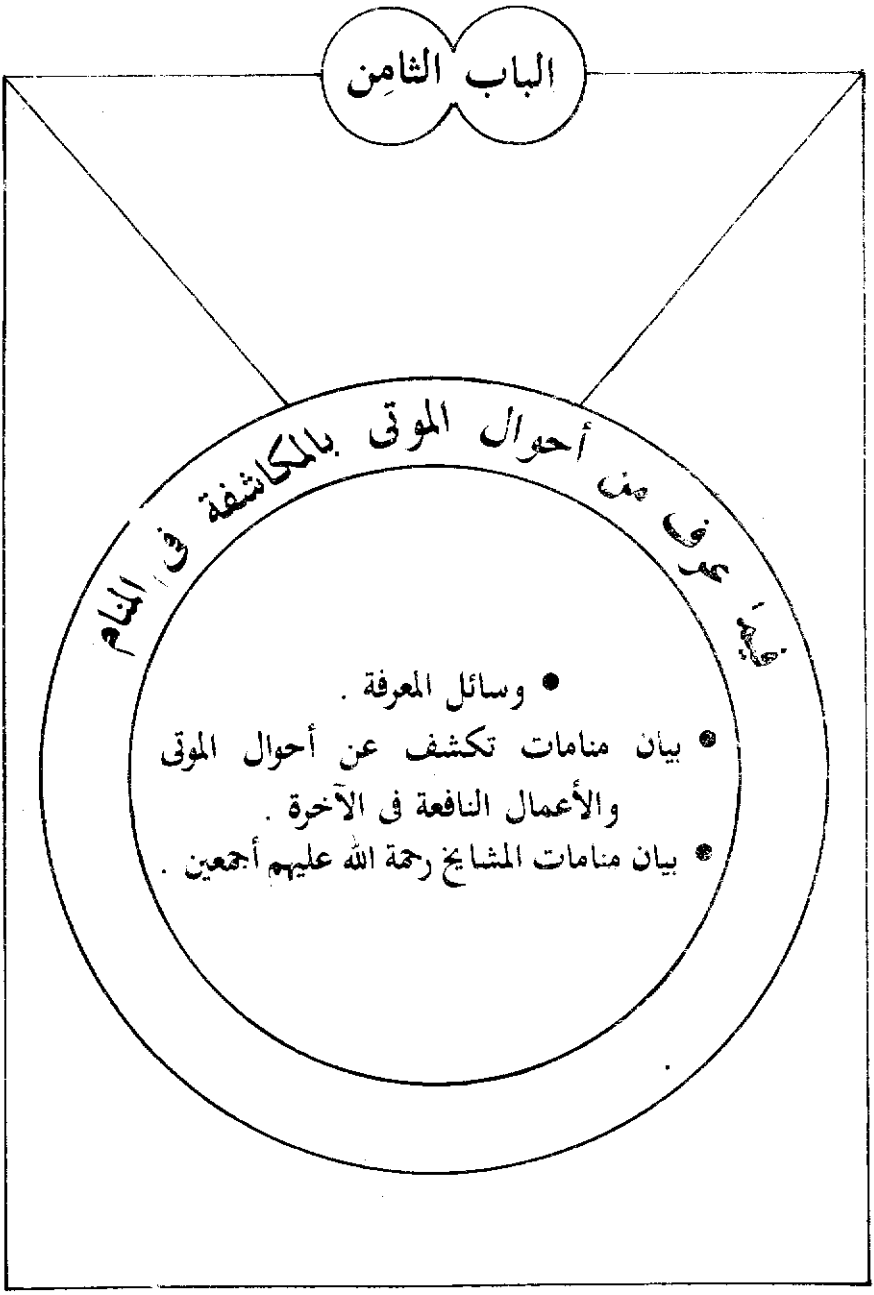
الباب الثامن
فيما يعرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام
• وسائل المعرفة .
• بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة .
• بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين .

وسائل المعرفة

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ومن مناهج الاعتبار ، تعرفنا أحوال الموتى على الجملة ، وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء .

ولكن حال زيد وعمر بعينه فلا ينكشف أصلا ، فإنا إن عولنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات ؟ وكيف ختم له ؟ وإن عولنا على صلاح الظاهر فالتقوى محلها القلب ، وهو غامض يخفى على صاحب التقوى ، فكيف على غيره ، فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**(٢٩٥) ﴾ **فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدتِهِ ومشاهدة ما يجرى عليه . واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت ، فلا يرى بالعين الظاهرة ، وإنما يرى بعين أخرى ، خلقت تلك العين فى قلب كل إنسان ، ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشْغَالِه الدنيوية ، فصار لا يبصر بها ، ولا يتصور أن يبصر بها شيئا من عالم الملكوت مالم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه . ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام ، فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبة ، والموتى فى عالم الملكوت ، فشاهدوهم وأخبروا . ولذلك**(٢٩٦) **رأى**

(٢٩٥) المائدة : ٢٧ .

(٢٩٦) حديث رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ وفى حق زينب ابنته وكذلك حال أبى جابر لما استشهد : تقدمت الثلاثة أحاديث فى الباب الذى قبله .

رسول الله ﷺ ضغطة القبر فى حق سعد بن معاذ ، وفى حق زينب ابنته . وكذلك حال أبى جابر لما استشهد ، إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر .

ومثل هذه المشاهدة لا مصمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم . وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة ، إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية ، وأعنى بها المشاهدة فى المنام ، وهى من أنوار النبوة . قال رسول الله ﷺ[٢٩٧] « **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ** » وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب ، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق . ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه . وممن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام .

ولذلك[٢٩٨] أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهرا ، وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضا ، فهو الأصل ، وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها ومهما صفا الباطن انكشف فى حدقة القلب ما سيكون فى المستقبل ، كما[٢٩٩] انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ فى النوم ، حتى نزل قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ**[٣٠٠] ﴾ وقلما يخلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة .

(٢٩٧) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة : رواه البخارى عن أبى سعيد ومسلم عن ابن عمر وعن أبى هريرة وأحمد عن أبى رزين . انظر الفتح الكبير ١٣٨/٢ .

(٢٩٨) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة الحديث .

(٢٩٩) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ فى النوم : ابن أبى حاتم فى تفسيره من رواية مجاهد مرسلا .

(٣٠٠) الفتح : ٢٧ .

كلمة فى الرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم

والرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم من عجائب صنع الله تعالى ، وبدائع فطرة الآدمى ، وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت ، والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم . والقول فى حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة ، فلا يمكن ذكره ، علاوة على علم المعاملة ، ولكن القدر الذى يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود ، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور ، وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت فى خلق خلقه الله تعالى ، يعبر عنه تارة باللوح ، وتارة بالكتاب المبين ، وتارة بإمام مبين كما ورد فى القرآن . فجميع ماجرى فى العالم وما سيجرى مكتوب فيه ، ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين . ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب ، أو حديد ، أو عظم ، وأن الكتاب من كاغد[٣٠١] أو رق ، بل ينبغى أن تفهم قطعا أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق ، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق ، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم . بل إن كنت تطلب له مثالا يقربه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير فى اللوح يضاهى ثبوت كلمات القرآن وحروفه فى دماغ حافظ القرآن وقلبه ، فإنه مسطور فيه ، حتى كأنه حين يقرؤه وينظر إليه . ولو فتشت دماغه جزأ جزأ لم تشاهد من ذلك الخط حرفا ، وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر .

---

(٣٠١) الكاغد : القرطاس .

فمن هذا النمط ينبغى أن تفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه ، واللوح فى المثال كمرآة ظهر فيها الصُّوَر ، فلو وضع فى مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى فى هذه ، إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم ، واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها ، واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسّه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذى هو من عالم الملكوت . فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته ، تلألأ فى مرآة القلب شىء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف . وقد يثبت ويدوم ، وقد لا يدوم وهو الغالب . ومادام متيقظا فهو مشغول بما توارده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة ، وهو حجاب عن عالم الملكوت . ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا توارده على القلب فإذا تخلص منه ومن الخيال ، وكان صافيا فى جوهره . ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، فوقع فى قلبه شىء مما فى اللوح ، كما تقع الصورة من مرآة فى مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما . إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل ، وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع فى القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ، وتكون المتخيلات أثبت فى الحفظ من غيرها ، فيبقى الخيال فى الحفظ ، فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال ، فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعانى ، فيرجع إلى المعانى بالمناسبة التى بين المتخيل والمعانى .

وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر فى علم التعبير[٣٠٢] ، ويكفيك مثال

(٣٠٢) علم التعبير : تعبير الرؤى والأحلام وتأويل ما يراه النائم وتفسيره . وقد أصدرت مكتبة القرآن كتابين فى هذا المجال أحدهما : للاماميين ابن سيرين والنابلسى ، والثانى للاستاذ محمد على قطب .

واحد ، وهو أن رجلا قال لابن سيرين : رأيت كأن بيدى خاتما اختم به أفواه الرجال وفروج النساء . فقال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح فى رمضان . قال صدقت . فانظر أن روح الختم هو المنع ، ولأجله يراد الختم ، وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه ، وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشرب ، ولكن الخيال ألِف المنع عند الختم بالخاتم ، فتمثله بالصورة الخيالية التى تتضمن روح المعنى ، ولا يبقى فى الحفظ إلا الصورة الخيالية .

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذى لا تنحصر عجائبه ، وكيف لا وهو أخو الموت ، وإنما الموت هو عجب من العجائب ، وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر فى كشف الغطاء عن عالم الغيب ، حتى صار النائم يعرف ما سيكون فى المستقبل . فماذا ترى فى الموت الذى يخرق الحجاب ، ويكشف الغطاء بالكلية ، حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال[٣٠٣] والمخازى والفضائح ، نعوذ بالله من ذلك ، وإما مكنوفًا[٣٠٤] بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له ، وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾[٣٠٥] ويقال ﴿ **أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ اصْلَوْها فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**[٣٠٦] ﴾ وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ **وَبَدا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**[٣٠٧] ﴾ فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له

---

(٣٠٣) الأنكال : النوازل .
(٣٠٤) مكنوفا : محاطا .
(٣٠٥) ق : ٢٣ .
(٣٠٦) الطور : ١٥ ، ١٦ .
(٣٠٧) الزمر : ٤٧ .

عقيب الموت من العجائب والآيات مالم يخطر قط ببابه ، ولا اختلج به ضميره . فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة فى خطر تلك الحال ، أن الحجاب عماذا يرتفع ، وما الذى ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة ، لكان ذلك كافيا فى استغراق جميع العمر .

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا ، وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا ، وأهلينا ، وبأسبابنا ، وذريتنا ، بل بأعضائنا ، وسمعنا ، وبصرنا ، مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ، ولكن[٣٠٨] أين ينفث روح القدس فى روعه فيقول ما قال لسيد النبيين : أحبب من أحببت فإنك مفارقه ، وعش ماشئت فإنك ميت ، واعمل ماشئت فإنك مجزي به ؟ فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان فى الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة[٣٠٩] على لبنة ، ولا قصبة على قصبة ، ولم يخلف دينارا[٣١٠] ولا درهما ، ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا . نعم قال « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمٰن »[٣١١] فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه . وأن حبه تمكن من حبة قلبه . فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب . وقد قال لأمته ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِ يُحْبِبْكُمُ اللهُ[٣١٢] ﴾ فإنما أمته من اتبعه ،

---

(٣٠٨) حديث إن روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فإنك مفارقه : الحديث تقدم

(٣٠٩) حديث لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة : تقدم أيضا

(٣١٠) حديث لم يخلف دينارا ولا درهما : تقدم أيضا

(٣١١) حديث لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن : تقدم أيضا

(٣١٢) آل عمران : ٣١

وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، فإنه مادعا إلّا إلى الله واليوم الآخر ، وما صرف إلاّ عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذى سلكه . وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته ، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته ، والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**[٣١٣] ﴾ .

فلو خرجت من مكمن الغرور . وأنصفت نفسك يارجل ، وكلنا ذلك الرجل . لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسى لا تسعى إلا فى الحظوظ العاجلة ، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا . ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ! ما أبعد ظنك ، وما أبرد طمعك ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**[٣١٤] ﴾ .

ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتدّ عنان الكلام إلى غير مقصده . ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به : إذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات .

(٣١٣) النازعات : ٣٧ .
(٣١٤) القلم : ٣٥ ، ٣٦ .

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة فى الآخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ[٣١٥] وقد قال عليه السلام « **مَنْ رَآنِى فِى الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِى حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بى** » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام ، فرأيته لا ينظر إلىّ ، فقلت يارسول الله ما شأنى ؟ فالتفت إلىّ وقال : ألست المقبّل وأنت صائم ؟ قال والذى نفسى بيده لا أقبّل امرأة وأنا صائم أبدا .

وقال العباس رضى الله عنه . كنت وَدًّا[٣١٦] لعمر ، فاشتهيت أن أراه فى المنام ، فما رأيته إلا عند رأس الحول[٣١٧] ، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغى ، إن كان عرشى ليهد لولا أنى لقيته رءوفاً رحيماً .

وقال الحسن بن على . قال لى علي رضي الله عنه . إن رسول الله ﷺ سنح لى الليلة فى منامى ، فقلت يارسول الله ، ما لقيت من أمتك ! قال ادع عليهم . فقلت اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم ، وأبدلهم بى من هو شر لهم منى فخرج فضربه ابن ملجم .

(٣١٥) حديث من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتخيل بى : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣١٦) أوَدُّه وأُحِبُّه .

(٣١٧) فى نهاية الحول . أى العام .

وقال بعض الشيوخ . رأيت رسول الله ﷺ ، فقلت يارسول الله استغفر لى ، فأعرض عنى فقلت يارسول الله إن سفيان[٣١٨] بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ، أنك لم تُسْأل شيئا قط فقلت لا . فأقبل علي فقال . غفر الله لك .

وروي عن العباس بن عبد المطلب قال : كنت مواخيا لأبى لهب[٣١٩] ، مصاحبا له ، فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر ، حزنت عليه ، وأهمنى أمره . فسألت الله تعالى حولا أن يرينى إياه فى المنام . قال فرأيته يلتهب نارا ، فسألته عن حاله فقال : صرت إلى النار فى العذاب ، لا يخفف عنى ولا يروّح إلا ليلة الإثنين فى كل الأيام والليالى ، قلت وكيف ذلك ؟ قال ولد فى تلك الليلة محمد ﷺ ، فجاءتنى أميمة فبشرتنى بولادة آمنة إيّاه ، ففرحت به ، وأعتقت وليدة لى فرحاً به ، فأثابنى الله بذلك أن رفع عنى العذاب فى كل ليلة اثنين .

وقال عبد الواحد بن زيد : خرجت حاجا ، فصحبنى رجل كان لايقوم ، ولا يقعد ، ولا يتحرك ، ولا يسكن ، إلا صلى على النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال : أخبرك عن ذلك ، خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبى ، فلما انصرفنا نمت فى بعض المنازل ، فبينا أنا نائم إذ أتانى آت فقال لى : قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه ، قال فقمت مذعورا ، فكشفت الثوب عن وجهه ، فإذا هو ميت أسود الوجه . فداخلنى من ذلك رعب . فبينا أنا فى ذلك الغم ، إذ غلبتنى عينى

(٣١٨) حديث ابن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر ما سئل النبى ﷺ شيئا قط فقال: لا . رواه مسلم.

(٣١٩) اتخذه أخا لى .

فنمت ، فإذا على رأس أبى أربعة سودان[٣٢٠] معهم أعمدة حديد ، إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين ، فقال لهم تنحوا . فمسح وجهه بيده ، ثم أتانى فقال قم فقد بيض الله وجه أبيك . فقلت له من أنت بأبى أنت وأمى ؟ فقال أنا محمد . قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبى ، فإذا هو أبيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول ﷺ .

وعن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما جالسان عنده ، فسلّمت وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أُتى بعلىّ ومعاوية ، فأدخلا بيتا ، وأجيف[٣٢١] عليهما الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج على رضي الله عنه وهو يقول : قضى لى ورب الكعبة . وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول : غفر لى ورب الكعبة .

واستيقظ ابن عباس رضى الله عنهما مرة من نومه[٣٢٢] فاسترجع وقال : قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله ، فأنكره أصحابه . فقال رأيت رسول ﷺ ومعه زجاجة من دم ، فقال ألا تعلم ماصنعت أمتى بعدى ؟ قتلوا ابنى الحسين ، وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله تعالى . فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوما بقتله فى اليوم الذى رآه ، ورؤي الصديق رضي الله عنه ، فقيل له : إنك كنت تقول أبدا فى لسانك . هذا أوردنى الموارد ، فماذا فعل الله بك ؟ قال قلت به لا إله إلا الله فأوردنى الجنة .

---

(٣٢٠) جمع أسود .

(٣٢١) أوجف الباب أغلقه .

(٣٢٢) استرجع : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين

قال بعض المشايخ : رأيت متمما الدورقى فى المنام ، فقلت ياسيدى مافعل الله بك ؟ قال دِيَر بى[٣٢٣] فى الجنان ، فقيل لهم يامتمم هل استحسنت فيها شيئا ؟ قلت لا ياسيدى . فقال لو استحسنت منها شيئا لوكلتك إليه ، ولم أوصلك إلىّ .

ورؤي يوسف بن الحسين فى المنام ، فقيل له مافعل الله بك ؟ قال غفرلى . قيل بماذا ؟ قال ما خلطت جدا بهزل .

وعن منصور بن اسماعيل قال : رأيت عبد الله البزار فى النوم ، فقلت ما فعل الله بك ؟ قال أوقفنى بين يديه ، فغفر لى كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحدا ، فإنى استحييت أن أقرّ به . فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى . فقلت ما كان ذلك الذنب ؟ قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته ، فاستحييت من الله أن أذكره .

وقال أبو جعفر الصيدلانى : رأيت رسول الله ﷺ فى النوم ، وحوله جماعة من الفقراء فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء ، فنزل ملكان ، أحدهما بيده طشت ، وبيد الآخر إبريق . فوضع الطشت بين يدى رسول الله ﷺ ، فغسل يده ، ثم أمر حتى غسلوا ، ثم وضع الطشت بين يدىّ ، فقال أحدهما للآخر : لا تصب على يده فإنه ليس منهم . فقلت يارسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت المرء مع

(٣٢٣) ديَر بى : أى « لفوا بى » وطافوا بى .

من أحب ؟ قال بلى : قلت يارسول الله فإنى أحبك وأحب هؤلاء الفقراء . فقال صلى الله عليه وسلم : صب على يده فإنه منهم .

وقال الجنيد : رأيت فى المنام كأنى أتكلم على الناس ، فوقف علىَّ ملك فقال : أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا ؟ فقلت عمل خفى بميزان ، فوَلّى الملك وهو يقول : كلام موفق والله . ورؤي مجمع فى النوم ، فقيل له كيف رأيت الأمر ؟ فقال رأيت الزاهدين فى الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة .

وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد : رأيتك فى النوم كأنك فى الجنة . فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال : لعل الشيطان أراد أمرا فعصمت منه ، فأشخص رجلا يقتلنى .

وقال محمد بن واسع : الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره .

وقال صالح بن بشير : رأيت عطاء السلمى فى النوم فقلت له رحمك الله ، لقد كنت طويل الحزن فى الدنيا . قال أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت فى أى الدرجات أنت ؟ فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية .

وسئل زرارة بن أبى أوفى فى المنام ، أي الأعمال أفضل عندكم ؟ فقال : الرضا وقصر الأمل .

وقال يزيد بن مذعور : رأيت الأوزاعى فى المنام ، فقلت : ياأباعمرو ، دلنى على عمل أتقرب به إلى الله تعالى ؟ قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ، ثم درجة المحزونين . قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكى حتى أظلمت عيناه .

وقال ابن عيينة : رأيت أخى فى المنام ، فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لى ، وما لم استغفر منه لم يغفر لى .

وقال على الطلحى : رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا ، فقلت من أنت ؟ فقالت حوراء . فقلت زوجينى نفسك . قالت اخطبنى إلى سيدى وأمهرنى . قلت وما مهرك ؟ قالت حبس نفسك عن آفاتها .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربى : رأيت زبيدة فى المنام ، فقلت ما فعل الله بك ؟ قالت غفر لى . فقلت لها بما أنفقت فى طريق مكة ؟ قالت أما النفقات التى أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها وغفر لى بنيتى .

ولمّا مات سفيان الثورى رئى فى المنام ، فقيل له مافعل الله بك ؟ قال وضعت أول قدمى على الصراط ، والثانى فى الجنة .

وقال أحمد بن أبى الحوارى : رأيت فيما يرى النائم جارية مارأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نوراً ، فقلت لها مماذا ضوء وجهك ؟ قالت تذكر تلك الليلة التى بكيت فيها قلت نعم قالت أخذت دمعك فمسحت به وجهى ، فمن ثم ضوء وجهى كما ترى .

وقال الكنانى : رأيت الجنيد فى المنام ، فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال طاحت تلك الإشارات ، وذهبت تلك العبارات ، وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليهما فى الليل .

ورئيت زبيدة فى المنام ، فقيل لها ما فعل الله بك ، قالت غفر لى بهذه الكلمات الأربع ، لا إله إلا الله أفنى بها عمرى . لا إله إلا الله

أدخل بها قبرى ، لا إله إلا الله أخلو بها وحدى ، لا إله إلا الله ألقى بها ربى .

ورئى بشر فى المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ، قال رحمنى ربى عز وجل وقال : يابشر أما استحييت منى ؟ كنت تخافنى كل ذلك الخوف ؟

ورئى أبو سليمان فى النوم ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال رحمنى ، وما كان شيء أضرّ علي من إشارات القوم إليّ .

وقال أبو بكر الكنانى : رأيت فى النوم شابا لم أر أحسن منه ، فقلت له من أنت ؟ قال التقوى . قلت فأين تسكن ؟ قال كل قلب حزين . ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت من أنت ؟ قالت أنا السقم . قلت فأين تسكنين ، قالت كل قلب فرح مرح . قال فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة .

وقال أبو سعيد الخراز : رأيت فى المنام كأن إبليس وثب علىّ ، فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها ، فهتف بى هاتف : إن هذا لا يخاف من هذه ، وإنما يخاف من نور يكون فى القلب .

وقال المسوحى : رأيت إبليس فى النوم يمشى عريانا . فقلت ألا تستحي من الناس ؟ فقال بالله هؤلاء ناس ؟ لو كانوا من الناس ماكنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمى ، وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية .

وقال أبو سعيد الخراز : كنت فى دمشق ، فرأيت فى المنام كأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءنى متكئا على أبى بكر وعمر رضي الله

عنهما . فجاء فوقف عليّ وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق فى صدرى ، فقال شر هذا أكثر من خيره .

وعن ابن عيينة قال : رأيت سفيان الثورى فى النوم كأنه فى الجنة ، يطير من شجرة إلى شجرة ، يقول لمثل هذا فليعمل العاملون . فقلت له أوصنى . قال أقلل من معرفة الناس .

وروي أبو حاتم الرازى ، عن قبيصة بن عقبة قال : رأيت سفيان الثورى ، فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال :

نظرت إلى ربى كفاحا[٣٢٤] فقال لى هنيئا رضائى عنك ياابن سعيد
فقد كنت قوّاما إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد[٣٢٥]
فدونك فاختر أى قصر أردته وزرنى فإنى منك غير بعيد

ورئى الشبلى بعد موته بثلاثة ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال ناقشنى حتى أيست فلما رأى يأسى تغمدنى برحمته .

ورئى مجنون بنى عامر بعد موته فى المنام ، فقيل له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين .

ورئى الثوري فى المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال رحمنى . فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك ؟ فقال هو ممن يلج على ربه فى كل يوم مرتين .

ورئى بعضهم فسئل عن حاله ، فقال :

حاسَبونـــا فدققـــوا ثم منـــوا فأعتقـــوا

---

(٣٢٤) كفاحا : أى دون حجاب .

(٣٢٥) العميد : الشديد الحزن الذى هده العشق والشوق .

ورئى مالك بن أنس ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة ، سبحان الحى الذى لا يموت .

ورئى فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى ، كأن أبواب السماء مفتحة ، وكأن مناديا ينادى : ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض .

ورئى الجاحظ ، فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال :

ولا تكتب بخطك غير شيء يسرك فى القيامـــة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس فى المنام عريانا ، فقال ألا تستحى من الناس ؟ فقال هؤلاء ناس ؟ الناس أقوام فى مسجد الشونيزية ، قد أضنوا جسدى ، وأحرقوا كبدى . قال الجنيد فلما انتبهت غدوت إلى المسجد ، فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث .

ورئى النصر اباذى بمكّة بعد وفاته فى النوم ، فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال عوتبت عتاب الأشراف ، ثم نوديت يا أبا القاسم ، أَبَعْدَ الاتصال انفصال ؟ فقلت لا ياذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بربى .

ورئى عتبة الغلام حوراء فى المنام على صورة حسنة ، فقالت ياعتبة ، أنا لك عاشقة ، فانظر لا تعمل من الأعمال شيئا فيحال بينى وبينك . فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا ، لا رجعة لى عليها حتى ألقاك .

وقيل رأى أيوب السختيانى جنازة عاصٍ ، فدخل الدهليز كيلا يصلى عليها ، فرأى الميت بعضهم فى المنام ، فقيل له ما فعل الله بك ، قال غفر لى وقال : قل لأيوب:﴿ **قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ** ﴾(٣٢٦)

وقال بعضهم : رأيت فى الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا ، وملائكة نزولا ، وملائكة صعودا . فقلت أى ليلة هذه ؟ فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه . .

وقال أبو سعيد الشحام : رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام ، فقلت أيها الشيخ ، قال دع التشييخ . قلت تلك الأحوال التى شاهدتها ، فقال لم تغن عنّا . فقلت ما فعل الله بك . قال غفر لى بمسائل كان يسأل عنها العجز .

وقال أبو بكر الرشيدى : رأيت محمدا الطوسى المعلم فى النوم ، فقال لى : قل لأبى سعيد الصفار المؤدّب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد-وحياة الحب-حلتم وماحلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له ، فقال كنت أزور قبره كل جمعة ، فلم أزره هذه الجمعة .

وقال ابن راشد : رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته ، فقلت أليس قدمت ؟ قال بلى قلت فما صنع الله بك ؟ قال غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب . قلت فسفيان الثورى ، قال بَخٍ بَخٍ(*) ، ذاك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين .. الآية .

---

(٣٢٦) الاسراء : ١٠٠ .

(*) بَخٍ بَخٍ : كلمة استحسان .

وقال الربيع بن سليمان : رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام ، فقلت ياأبا عبد الله ، ما صنع الله بك ، قال أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر علىّ اللؤلؤ الرطب ورأى رجل من أصحاب الحسن البصرى ليلة مات الحسن كأن مناديا ينادى ﴿ **إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**[٣٢٧] ﴾ واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى أُرِيتُ فى منامى رجلاً آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا ؟ قالوا أويس القرنى . فأتيته فقلت : وصنى رحمك الله . فكلح فى وجهى فقلت مسترشد فأرشدنى أرشدك الله . فأقبل على وقال . اتبع رحمة ربك عند محبته ، واحذر نقمته عند معصيته ، ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ، ثم ولى وتركنى .

وقال أبو بكر بن أبى مريم . رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى ، فقلت ما فعلت ياورقاء قال نجوت بعد كل جهد . قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل ؟ قال البكاء من خشية الله .

وقال يزيد بن نعامة : هلكت جارية فى الطاعون الجارف ، فرآها أبوها فى المنام فقال لها يابنية أخبرينى عن الآخرة . قالت ياأبت قدمنا على أمر عظيم ، نعلم ولا نعمل ، وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلىّ من الدنيا وما فيها .

وقال بعض أصحاب عتبة الغلام : رأيت عتبة فى المنام ، فقلت ماصنع الله بك ؟ قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة فى بيتك . قال فلما أصبحت جئت إلى بيتى ، فإذا خط عتبة الغلام فى حائط

---

(٣٢٧) آل عمران : ٣٣

البيت : ياهادي المضلين ، ويارحم المذنبين ، ويامُقيلَ عثراتِ العاثرين ، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كُلّهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين . والصديقين ، والشهداء والصالحين ، آمين يارب العالمين .

وقال موسى بن حماد : رأيت سفيان الثورى فى الجنة ، يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة . قلت يا أبا عبد الله ، بم نلت هذا ؟ قال بالورع ، قلت فما بال على بن عاصم ؟ قال ذلك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب .

ورأى رجل من التابعين النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال : يارسول الله عظنى . قال:نعم من لم يتفقد النقصان فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له .

وقال الشافعى رحمة الله عليه : دهمنى فى هذه الأيام أمر أمضّنى وآلمنى ، ولم يطلع عليه غير الله عز وجل ، فلما كان البارحة أتانى آت فى منامى ، فقال لى يامحمد بن إدريس ، قل اللهم إنى لا أملك لنفسى نفعا ، ولا ضرا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا . ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى ، ولا أتقى إلا ما وقيتنى اللهم فوفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية . فلما أصبحت أعدت ذلك . فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طِلْبتى ، وسهل لى الخلاصَ مما كنت فيه ، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها .

فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى ، وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى .

على عتبات الآخرة ..

أهوال وأخطار بين يَدَىْ
« يوم الفزع الأكبر »

ما بين يدى الميت من الأهوال والأخطار

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت ، وخطره فى خوف العاقبة ، ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ، ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ، ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه . وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه ، من نفخ الصور ، والبعث يوم النشور ، والعرض على الجبار ، والسؤال عن القليل والكثير ، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء . فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث دواعى الاستعداد لها .

وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ، ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم . ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء ، وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها ، مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال . بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ، ثم غفلت عنه قلوبهم ، ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم ، فقال لصاحبه الذى أخبره صدقت ، ثم مد يده لتناوله ، كان مصدقا بلسانه ، ومكذبا بعمله . وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان .

وقد قال النبي ﷺ[٣٢٨] « **قَالَ اللهُ تَعَالَى شَتَمَنِى ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَن يَشْتُمَنِى وكَذَّبَنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِى أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّاىَ فَيَقُولُ : إِنَّ لِى وَلَداً-وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِى كَمَا بَدَأَنِى** » .

وإنما فتور البواطن عن قوة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم فى هذا العالم لأمثال تلك الأمور . ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات ، وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمى المصور ، العاقل ، المتكلم ، المتصرف ، لاشتد نفور باطنه عن التصديق به . ولذلك قال الله تعالى ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**[٣٢٩] ﴾ وقال تعالى ﴿ **أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى** ﴾[٣٣٠] .

ففى خلق الآدمى مع كثرة عجائبه ، واختلاف تركيب أعضائه ، أعاجيب تزيد على الأعاجيب فى بعثه وإعادته . فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك فى صنعته وقدرته ! فإن كان فى إيمانك ضعف فقوّ الإيمان بالنظر فى النشأة الأولى ، فإن الثانية مثلها وأسهل منها .

وإن كنت قويّ الايمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار ، وأكثر فيها التفكر والاعتبار ، لتسلب عن قلبك الراحة والقرار ، فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار ، وتفكر أولا فيما يقرع سمع

---

(٣٢٨) حديث قال الله تعالى شتمنى ابن آدم وما ينبغى له أن يشتمنى وكذبنى وما ينبغى له أن يكذبنى . الحديث : البخارى من حديث أبى هريرة .

(٣٢٩) يس : ٧٧.

(٣٣٠) القيامة : ٣٦ إلى ٣٩.

سكان القبور ، من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رءوس الموتى ، فيثورون دفعة واحدة ، فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك ، مغبرا بدنك من فرقك[٣٣١] إلى قدمك من تراب قبرك ، مبهوتا من شدة الصعقة ، شاخص العين نحو النداء ، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التى طال فيها بلاؤهم ، وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافا إلى ما كان عندهم من الهموم ، والغموم ، وشدة الانتظار لعاقبة الأمر ، كما قال تعالى ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**[٣٣٢] ﴾ وقال تعالى ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ**[٣٣٣] ﴾ وقال تعالى ﴿ **وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** ﴾[٣٣٤] فلو لم يكن بين يدى الموتى إلا هول تلك النفخة ، لكان ذلك جديرا بأن يتقى ، فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والأرض ، يعنى يموتون بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة . ولذلك قال رسول الله ﷺ[٣٣٥] « **كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ**

---

(٣٣١) فرقك : مفرق شعر رأسك .

(٣٣٢) الزمر : ٦٨

(٣٣٣) المدثر : ٨ إلى ١٠

(٣٣٤) يس : ٤٨ إلى ٥٢

(٣٣٥) حديث كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة – الحديث : الترمذى من حديث أبى سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحبى القرن بأيديهما

الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى الْجَبْهَةَ وَأَصْغَى بِالأُذُنِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ » قال مقاتل :الصور هو القرن وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضعٌ فاه على القرن كهيئة البوق ، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض . وهو شاخص بصره نحو العرش ، ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى فإذا نفخ صعق من فى السموات والأرض ، أى مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله ، وهو جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل وملك الموت ، ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ، ثم روح ميكائيل ، ثم روح إسرافيل ، ثم يأمر ملك الموت فيموت ، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى فى البرزخ أربعين سنة ، ثم يحيى الله إسرافيل ، فيأمره أن ينفخ الثانية . فذلك قوله تعالى ﴿ **ثم نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**(٣٣٦) ﴾ **على أرجلهم ينظرون إلى البعث** .

والحمد لله حمد الشاكرين،،،

أو فى أيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران وفى رواية ابن ماجه : الحجاج بن أرطاه : مختلف فيه .

(٣٣٦) الزمر : ٦٨ .

فهرس الكتاب

رقم الموضوع		الصفحة
	مقدمة المحقق	٥
	رحلة الموتى إلى القبور	٨
	المؤلف أبو حامد الغزالى	١٣
	عصر الامام الغزالى	١٥
	حجة الاسلام الغزالى مؤلفاً ومجدداً	١٧
	منهج التحقيق	١٩
	مقدمة المؤلف	٢٠
	الباب الأول	
	فى ذكر الموت والترغيب فى الإكثار من ذكره	٢٣
	ذكر الموت وموقف الناس منه	٢٥
	بيان فضل ذكر الموت كيفما كان	٢٧
	الآثار فى فضيلة ذكر الموت	٢٩
	بيان الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب	٣٢
	الباب الثانى	
	فى طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفيه معالجته	٣٥
	فضيلة قصر الأمل	٣٧
	خطبة عمر بن عبد العزيز فى الحث على التذكر	٤٥
	كل ما يشغل العبد عن الرب فهو مشئوم	٤٦
	بيان السبب فى طول الأمل وعلاجه	٤٩
	بيان مراتب الناس فى طول الأمل وقصره	٥٢
	بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير	٥٥
	الباب الثالث	
	فى سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده	٦٣
	سكرات الموت	٦٥
	سكرات الموت واقعة لا محالة	٦٨

مشاهدة العصاة مواضعهم من النار ٧٤
بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت ٧٧
مشروعية التلقين وما ينبغي للملقن ٧٨
بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها ٨١

الباب الرابع

في وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده ٨٧
وفاة رسول الله ﷺ ٨٩
يوم وفاته ﷺ ١٠٠
حال الصحابة عند موته ﷺ ١٠٠
ثبات أبي بكر والعباس عند موته عليه السلام ١٠١
خطبة أبي بكر عند موته عليه السلام ١٠٢
موقف الصحابة عند غسله عليه الصلاة والسلام ١٠٥
وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ١٠٧
استخلافه لعمر رضي الله عنهما وتوصيته له ١٠٨
وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ١١٠
حال الصحابة عند وفاته رضي الله عنه ١١١
وفاة عثمان رضي الله عنه ١١٤
وفاة علي كرم الله وجهه ١١٦
وفاة الحسين رضي الله عنه ١١٧

الباب الخامس

في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين ١١٩
ماذا قال معاوية عند وفاته ؟ ١٢١
ماذا قال عبد الملك بن مروان عند وفاته ؟ ١٢٢
كلمة عمر بن عبد العزيز ١٢٣
ماذا قال هارون الرشيد ؟ ١٢٤
ماذا قال المأمون ؟ ١٢٤
ماذا قال المعتصم ؟ ١٢٤
ماذا قال المنتصر ؟ ١٢٥
ماذا قال عمرو بن العاص ؟ ١٢٥
ماذا قال الحجاج ؟ ١٢٥
بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ؟ ١٢٦

ماذا قال معاذ ؟ ١٢٦
ماذا قال سلمان ؟ ١٢٦
ماذا قال بلال ؟ ١٢٧
ماذا قال ابن المبارك ؟ ١٢٧
ماذا قال النخعي ؟ ١٢٧
ماذا قال ابن المنكدر ؟ ١٢٧
ماذا قال عامر بن عبد القيس ؟ ١٢٨
ماذا قال الفضيل ؟ ١٢٨
ماذا قال ابن المبارك ؟ ١٢٨
ماذا قال عطاء بن يسار ؟ ١٢٨
ماذا قال الجنيد ؟ ١٢٩
ماذا قال أبو سعيد الخراز ؟ ١٢٩
قالوا ١٣٠
كلمة بشر بن الحارث ١٣١
كلمة سري السقطي ١٣٢
كلمة الشافعي رضي الله عنه ١٣٤

الباب السادس

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور ١٣٥
خوفهم من الموت !! ١٣٧
كلمة أبي هريرة ١٣٧
آداب حضور الجنازة ١٣٩
بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور ١٤١
صفة القبر ١٤٢
فاطمة بنت الحسين عند وفاة زوجها ١٤٥
أبيات وجدت مكتوبة على القبور ١٤٧
بيان أقاويلهم عند موت الولد ١٥٠
بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به ١٥٣
ليس للنساء زيارة القبور في زماننا ١٥٤
المستحب في زيارة القبور ١٥٦
استئناس الميت بالزيارة له ١٥٦
الميت يرد السلام ١٥٦

فضل يوم الجمعة ١٥٧
انتفاع الميت بالدعاء له ١٥٨
تلقين الميت ١٥٨
قراءة القرآن على القبور ١٥٩
المقصود من زيارة القبور ١٦٠
استحباب الثناء على الميت ١٦١

الباب السابع

فى حقيقة الموت وما يلقاه الميت فى القبر إلى نفخة الصور ١٦٣
بيان حقيقة الموت ١٦٥
عدم انعدام الروح بالموت ١٦٩
رؤية الميت مقعده ١٧٠
مقر الأرواح ١٧٥
تلاقى الأرواح بعد الموت ١٧٥
بيان كلام القبر للميت ١٧٧
بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ١٨٠
كيفية التصديق بشيء غير مشاهد ١٨٤
بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر ١٨٩
عدم تغير العقل بالموت ١٩٠

الباب الثامن

فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة فى المنام ١٩٣
وسائل المعرفة ١٩٥
كلمة فى الرؤيا ومعرفة الغيب فى النوم ١٩٧
بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة فى الآخرة ٢٠٢
بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين ٢٠٥
على عتبات الآخرة ٢١٥
ما بين يدى الميت من الأهوال والأخطار ٢١٧

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٢٠٢/ ١٩٨٦
الترقيم الدولى ٣ - ٥٧ - ١٣٤٠ - ٩٧٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
١٢ شارع على - شبرا مصر